
روائع
شكسبير
ملهاة الأخطاء
مسرحية في خمسة فصول
للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina

مَلهاة الأخطاء

مَسْرحيّة في خَمْسة فصُول

للشاعر الإنكليزي الكبير
وليم شكسبير

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

وليم شكسبير
(١٥٦٤ - ١٦١٦)

أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنكليز ، ومن أبرز الشخصيات في الأدب العالمي إن لم يكن أبرزها على الإطلاق . يصعب تحديد عبقريته بمعيار بعينه من معايير النقد الأدبي ، وإن كانت حكَمُه التي وضعها على لسان شخصيات رواياته خالدة في كل زمان .

هناك تكهنات وروايات عديدة عن حقيقة شخصيته التي يكتنفها الغموض والإبهام ، وعن حياته التي لا يعرف عنها إلا القدر اليسير . والثابت أن أباه كان رجلاً له مكانته في المجتمع ، وكانت أمه من عائلة ميسورة الحال . وقيل إنه بلغ حدّاً من التعليم مكّنه من التدريس في بلدتهستراتفورد ـ أون ـ آفون ، التي يوجد بها الآن مسرح يسمى باسمه ، يقوم بالتمثيل على خشبته أكبر الممثلين المتخصصين في رواياته . ومن الثابت أيضاً أنه تزوج من آنّ هاتاواي ، وأنجب منها ثلاثة أطفال .

في سنة ١٥٨٨ انتقل إلى لندن وربط حياته بالمسرح هناك . وفي سنة ١٥٨٩ أخرجت أولى مسرحياته ، وهي إما مسرحية « كوميديا الأغلاط » أو الجزء الأول من مسرحية « هنري السادس » . وفي سنة ١٥٩٩ اشترك في إدارة مسرح غلوب الشهير .

وقد كان شكسبير رجل عصره على الرغم من عالمية فنه ، إذ تأثر إلى حدّ بعيد بمعاصريه من كتّـاب المسرح مثل توماس كيد وكريستوفر مارلو ، وخاطب مثلهم الذوق الشعبي في عصره ، وهو الذوق الذي كان يهوى المآسي التاريخية بما فيها من عنف ومشاهد دامية . كما كان يهوى المشاهد الهزلية ذات الطابع المكشوف التي كانت تتخلل المسرحيات التراجيدية لتخفف من حدة وقعها .

غير أن شكسبير هذّب القصص التي نقلها عن المؤرخ هوليتشد لتاريخ انكلترا واسكوتلندا ، كما هو الحال في مسرحيات « مكبث» و« الملك لير » و« سمبلين » و « ريتشارد الثالث » . وعن المؤرخ الروماني بلوتارك ، كما في مسرحية « أنطوني وكليوباطرا » . وأضف إلى ذلك كله عمق تحليله للنفس البشرية ، فضلاً عن شاعريته الفياضة في تصوير المواقف التاريخية والعاطفية الخالدة ، حتى جعل من المسرح الإنكليزي فنّاً عالمياً رفيعاً .

ومن المتفق عليه بين معظم الباحثين والدارسين أن ٣٨ من المسرحيات لا يشك في نسبتها إليه ، وأن مراحل إنتاجه الأدبي يمكن تقسيمها إلى مراحل أربع :

أولاهـا : (١٥٩٠ ـ ١٥٩٤) وتحوي مجموعة من المسرحيات التاريخية منها « كوميديا الأغلاط» و « هنري السادس » و « تيتوس أندرونيكوس » و « السيدان من فيرونا » و « جهد الحب الضائع » و « الملك جون » و « ريتشارد الثالث » و « ترويض النمرة» .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الغنائية (١٥٩٥ ـ ١٦٠٠)

وتشتمل على معظم قصائده الشهيرة وبعض مسرحياته الخفيفة ، مثل « ريتشارد الثاني » و « حلم منتصف ليلة صيف » و « تاجر البندقية » التي ترجمت جميعاً إلى العربية مع بعض روائعه الشهيرة مثل « روميو وجولييت » و « هنري الخامس » و « يوليوس قيصر » و« كما تهواه » وقد ترجمت جميعاً إلى العربية أيضاً.

ومن مسرحيات هذه المرحلة كذلك « زوجات وندسور المرحات » و « ضجيج ولا طحن » .

المرحلة الثالثة : وهي أهم المراحل على الإطلاق ، إذ تمثل قمة نضوجه الفني ؛ فقد كتب فيها أعظم مسرحياته التراجيدية ، مثل « هاملت » و « عطيل » و« الملك لير » و« مكبث » و« أنطوني وكليوباطرا » و« بركليز » و « كريولينس » و « دقة بدقة » ، وقد ترجم معظمها إلى العربية ، ومنها ما ترجم أكثر من مرة ، ومنها ما بلغ عدد ترجماته العشرة مثل « هاملت » .

ومن مسرحيات هذه المرحلة أيضاً « تيمون الأثيني» و « خير ما انتهى بخير » .

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي اختتم بها حياته الفنية (١٦٠٩ ـ ١٦١٣) ، وقد اشتملت على مسرحيات « هنري الثامن » و « العاصفة » مما ترجم إلى العربية ، وعلى مسرحيتي « قصة الشتاء » و« سمبلين » .

وفي هذه المرحلة نجد العواطف النفسية العنيفة وقد خبت وتحولت في نفس الشاعر إلى نظرة تقبل ورضى وأمل وتأمل .

هذا وقد نسب بعض النقاد المتقدمين مؤلفاته إلى آخرين ، منهم الفيلسوف فرنسيس بيكون ، ومنهم إيرل اكسفورد . وقال

آخرون إنه من أصل عربي وإن اسمه جاء تحريفاً لاسم الشيخ زبير . وكلها أقوال لم تثبت بالأدلة القاطعة ولم يقم عليها الدليل العلمي وإن كانت هناك بحوث كثيرة في هذا الصدد . ولقد اشترك كثير من كبار الشعراء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جمع مسرحياته ونقدها ، وإن اختلفت وجهات النظر وتعددت أساليب النقد . ففي القرن الثامن عشر اعترض كتّاب من أمثال « دريدن » و « بوب » على ما اعتبروه إسراف شكسبير في الخيال والتعبير . أما شعراء القرن التاسع عشر من أمثال « كولريدج » فقد أعطوا الشاعر الكبير ما يستحقه من التقدير ، وكذلك الحال بالنسبة إلى نقاد القرن العشرين ، من أمثال « ت . س . اليوت » ممن أكدوا عالمية فنه وخلود أدبه .

هذا وقد كان لشكسبير أثره الكبير في آداب جميع الأمم على الإطلاق ، وتأثر به جميع الكتاب والشعراء والأدباء في كل البلدان وفي كل العصور ، في القارة الأوروبية وفي الأمريكتين وفي غير ذلك من القارات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر خاصة ، وفي غير ذلك من القرون . أما في الأدب العربي فقد تأثر به كثير من الأدباء ، وترجمت معظم مسرحياته ، وقدمت في المسرح والسينما والإذاعة .

ونحن ، في دار الكتب العلمية ، إذ يسرنا أن نقدم إلى القراء الكرام أشهر مسرحيات شكسبير المعربة ، نتمنى أن يكون ذلك دافعاً لمزيد من التمازج والتلاقح بين الثقافة العربية العظيمة ومختلف الثقافات الأجنبية ، تمهيداً لإنشاء ثقافة إنسانية واحدة متكاملة . وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم .

شخصيات المسرحية

سولنوس	: دوق إفسوس
ايجون	: تاجر من سرقوس
انتفولوس	
انتفولوس السرقوسي	: توأمان، ولدا ايجون وأميلي
درروميو السرقوسي	
دروميو الإفسوسي	: توأمان، خادمان للتوأمين انتفولوس
بالتزار	: تاجر
انجلو	: صائغ لانتفولوس
التاجر الاول	: صديق لانتفولوس السرقوسي
التاجر الثاني	: دائن انجلو
بينش	: ناظر مدرسة
اميلي	: زوج ايجون، وأم في دير بإفسوس
ادريانا	: زوج انتفولوس الإفسوسي
لوسيانا	: أختها
لوسي	: خادم أدريانا

مسؤولة الدير ـ سجان ـ ضابط ـ حاشية ـ غانية.

الفصل الاول

المشهد الاول

(قاعة في قصر الدوق في افسوس.)

(يدخل الدوق وايجون وحارس وضباط وحاشية)

ايجون : انهِ إجراءاتك يا سولنوس، وتسبب في موتي وضع بحكم الإعدام خاتمة لأحزاني، ولكل شيء

الدوق : كفى ابتهالاً أيها التاجر السرقوسي، إني لن أرضى بخرق قوانيننا، فإن المخاصمة والخلاف الأخيرين اللذين نشآ من غضبة دوقك الحاقد على مواطنينا التجار المساكين، ـ الذين احتاجوا المال لينقذوا حياتهم ـ فختموا بدمائهم على قوانينه القاسية، قد انتزعت كل شفقة من وجوهنا الحاقدة. فمنذ هذا العراك الشديد المميت، الذي نشب بيننا وبين مواطنيك الظالمين، اتخذت في المجالس المحترمة قرارات سواء من جانبنا، أو من جانب أهل سرقوسة، بأن نمنع الدخول إلى مدينتينا المتخاصمتين بل أكثر من ذلك، إن الموت

يكون نصيب من يُشاهد في أعياد سرقوسة
وأسواقها من مواليد إفسوس ومن يدخل خليج
افسوس من مواليد سرقوسة تصادر سلعه
ليتصرف فيها الدوق إلا إذا دفع غرامة قدرها
ألف مارك لترفع عنه العقوبة وتكون له فدية.
وكل ما تملكه أنت، على أحسن تقدير، لا
يمكن أن يبلغ المائة من الماركات، لهذا،
فأنت حسب القانون، مقضيّ عليك بالموت.

ايجون : ومع ذلك فإن في هذا راحتي، فإذا نفذ أمرك،
انقضت كذلك، مع شمس المساء، أحزاني.

الدوق : اخبرنا بإيجاز أيها السرقوسي السبب الذي من
أجله رحلت عن موطنك؟ وما الذي دعاك لأن
تحضر إلى إفسوس.

ايجون : ما كان ليفرض عليّ أمر أصعب من أن أتكلم
عن أحزاني المضنية، ولكني سأفصح عما
يسمح لي به كمدي لأعلم العالم أن مآلي،
إنما جلبته عليّ غريزة طبيعية، لا ذنب شنيع
ارتكبته. ولدت في سرقوسة وتزوجت بامرأة ما
كان يسعدها غيري وسوى قربي منها، لولا أن
حظنا كان سيئاً. فقد عشنا معاً في سعادة،
ونمت ثروتنا بفضل رحلاتي العديدة الموفقة

إلى أبيدامنوم، حتى كانت وفاة وكيلي التي تركت هذه التجارة الكبيرة عرضة لصروف الدهر، وانتزعتني من أحضان زوجتي العطوف. ولم يكد يبلغ غيابي عنها ستة أشهر حتى شرعت بنفسها تدبر أمر لحاقها بي، وهي تكاد تسقط من التعب والإعياء، من ثقل ما تحمل النساء من «العقاب المحبب». وما أسرع أن وصلت آمنة إلى حيث كنت بانتظارها. ولم تلبث طويلاً هناك حتى أضحت أماً سعيدة لولدين سمينين جميلين. والعجيب في الأمر أن كلاً منهما يشبه الآخر بحيث لا يمكن التعرف إليهما والتمييز بينهما سوى باسميهما، وفي الساعة ذاتها وفي الفندق نفسه تخففت امرأة، أدنى منها مكانة، من ثقل كثقلها صبيين توأمين متشابهين، ولما كان أبواهما فقيرين جداً، فقد ابتعتهما وربيتهما ليقوما بخدمة ولديّ وكانت زوجتي بافتخارها الذي لا تلام عليه بمثل هذين الصبيين، تطالب كل يوم بالعودة إلى وطننا. وعلى غير رضى مني وقبول فإنني رضخت وللأسف وسرعان ما ركبنا باخرة وابتعدنا فرسخاً عن أبيدامنوم دون

أن يبدي البحر المطواع للريح، ما ينذر بأي سوء يصيبنا. وما أسرع أن تضاءل أملنا؛ فإن النور الغامض الذي أتت به السماء، لم يكشف لنفوسنا الفزعة، سوى عن يقين مريب بموت سريع، موت ما كان يحزنني أن أقدم عليه، لولا دموع زوجتي التي لا تتوقف، وهي تبكي مقدماً لما ترى أنه لا محالة واقع، وأنين الأطفال الوادعين المحزن وهم يبكون تقليداً، ولا يدرون لم هم خائفون. فدفعني ذلك دفعاً أن أحاول تأخير المصيبة التي ستحل بهم وبي، وهذا ما قد كان، فلم يكن هناك مهرب من ذلك. فقد التمس البحارة السلامة بزورقنا، وتركوا لنا الباخرة على وشك الغرق، ومن إشفاق زوجتي الزائد على آخر من ولد من طفليها ربطته في قلع صغير مهمل كالذي يعده البحارة للعواصف والأنواء. وربطت إلى طرفه الآخر واحداً من التوأمين الخادمين، بينما اهتممت أنا بأن أفعل بالآخر بمثل ما قامت هي به. فلما انتهى أمر الصغار، أخذت أنا وزوجتي، وقد تعلقت أعيننا بمن تعلق به اهتمامنا، نربط أنفسنا كلاً في طرف من طرفي

الشـراع. وطفونـا في الحال، يتحكم التيـار في سيرنا محمولين نحو كورنث فيما ظننا، وبعد مضي وقت أشرقت الشمس على الأرض، فبددت الضباب الذي جنى علينا، وبفضل ضوئها، الذي كنا نحن إليه سكنت مياه البحر، ورأينا عن بعد، باخرتين تتجهان نحونا واحدة من كورنث والأخرى من أبيدوروس. ولكن، قبل أن تصلا ـ لا، لا تدعني أسترسل، واستخلص أنت ما حصل مما قد قدمت قوله.

الدوق : بل، أكمل كلامك، أيها الشيخ، ولا تقطع الحديث هكذا، إننا إن لم نعف عنك، فقد نشفق عليك.

ايجون : ويحي، لو أن الآلهة نفسها فعلت ذلك ما وصفتها الآن بأصدق من قولي، إنها لا ترحم. ذلك أنه قبل أن تتمكن السفينتان من الوصول إلينا، بعشرة فراسخ، صادفتنا صخرة ضخمة، فاصطدمنا بها بعنف، فانشطر المركب الذي به استعنا من وسطه وهكذا افترقنا، هذا الفراق القاسي، وتركت المقادير لكل منا ما يسر وما يحزن على السواء ويظهر أن ما حمله طرف الباخرة، الذي كانت عليه البائسة، قد خف

ثقله وإن لم تخفّ لوعة من كان عليه، فاندفع مع الريح اندفاعاً أسرع، وعلى مرأى منا ومشهد التقط الثلاثة صيادون من كورنث فيما نظن، وبعد مدة، أدركنا نحن مركباً آخر، فلما علم من فيه إلى من ساقهم القدر لينقذوه، رحبوا بضيوفهم الغرقى، ترحيب الأمن والسلامة، وهمّوا بأن يسترجعوا من الصيادين صيدهم لولا أن شراع مركبهم كان بطيئاً ولذلك توجهوا باتجاه موطنهم. ها قد سمعت كيف تصرمت بيني وبين نعمتي الأسباب، وكيف مدّ الحظ العاثر في حياتي، كي أروي القصص الحزينة عما لاقيت من شقاء.

الدوق : إني استحلفك بمن تحنو عليهم، أن تخصني فتروي لي بالتفصيل ما صار إليه أمرك وأمرهم حتى الآن.

ايجون : أما ولدي الأصغر، وإن كان هو هاجسي الأكبر، فقد أخذ، وهو في الثامنة عشرة، يصرّ بالسؤال عن أخيه، ويلح عليّ، كي أدع خادمه ـ وهو مثله قد فقد أخاه واحتفظ باسمه ـ ليرافقه في البحث عنه. وكان أن دفعني، ما أعانيه من شوقي وتلهفي لرؤيته، إلى أن أخاطر

فأعرّض من أحبه للفقد والضياع. فأمضيت أصيافاً خمسة في أقاصي بلاد اليونان، متجولاً، مخترقاً حدود آسيا اختراقاً. ثم حاذيت الشاطىء صوب بلادي فوصلت إلى إفسوس: وعلى الرغم من يأسي من أن أجده، فقد كرهت أن أغادرها دون التفتيش عنه فيها أو في أي مكان آخر قد يحل الناس فيه، ولكن، هنا يجب أن تنتهي قصة حياتي، وسأسر بموت يأتيني في حينه لو أن تعب رحلاتي كلها يضمن لي أنهم أحياء

الدوق : أيها المسكين ايجون، يا من انتقته الأقدار، ليتحمل أفدح الكوارث الفاجعة والآن، صدقني، أنه لولا أن ما قمت به يخالف قوانيننا ويتحدى عرشي وقسمي وكرامتي التي ينبغي للأمراء ألا يستهينوا بها مهما علا شأنهم، لقمت بنفسي بالمدافعة عنك. ولكنني سأكرمك بما أتمكن أن أكرمك به. رغم أنك محكوم عليك بالموت، وقد أُصدر بذلك حكم لا يرد إلا بالنيل من شرفنا نيلاً عظيماً، وسأمهلك أيها التاجر، إلى نهاية هذا اليوم، لتبحث فيه عن الفدية عند كريم لينقذك: حاول

مع كل صديق لك في إفسوس. تسوّل! أو استقرض كي تجمع المبلغ، واحيا وإلا فقد قضي عليك بأن تموت. أيها السجان، تعال خذه في حراستك.

السجان : سأفعل يا سيدي

ايجون : ألا فليمض ايجون بلا أمل ولا عون، فلن يتمكن سوى إرجاء مصيره المحتوم.

(يخرجون)

المشهد الثاني

(السوق. يدخل انتفولوس السرقوسي ودوروميو السرقوسي والتاجر الاول)

التاجر الاول : إياك إذن أن تظهر أنك من أبيدامنوم، وإلا صودرت سلعك كلها في الحال. فإن تاجراً سرقوسياً، قبض عليه اليوم لأنه قدم إلى هنا، ولما لم يستطع أن يفتدي حياته بالمال، فإنه سيعدم تبعاً لقوانين المدينة، سيعدم قبل أن تهبط الشمس المنهكة إلى مغربها. خذ هذا مالك الذي كان علي أن أحفظه لك.

انتفولوس السرقوسي : (إلى دروميو السرقوسي) هيا خذه إلى خان «السنتور» حيث نسكن، وابق هنالك يا دروميو حتى أقدم إليك، فخلال هذه الساعة سيحين أوان الغداء، وحتى ذلك الوقت سأتفقد المدينة، أتعرف إلى التجار وأشاهد المباني، وبعد ذلك أرجع لأنام في خاني، فإنني مكدود منهوك من السفر الطويل. هيا اذهب.

دروميو السرقوسي : ما أكثر الذين يتمنون تنفيذ أقوالك فيذهبون بالفعل وقد فازوا بمثل هذه الطريقة الصالحة.

انتفولوس السرقوسي : ـ إنه يا سيدي عبد أثق به، وكثيراً ما يسلّيني ـ إذا ما أثقلني الحزن والهم ـ بنكاته المرحة. هـل لك في أن تتجول برفقتي في المدينة، ثم نذهب إلى خاني لتناول طعام الغداء سوية.

التاجر الأول : استميحك عذراً يا سيدي، فأنا مدعو عند بعض التجار الذين أتوقع أن أجني منهم ربحاً وفيراً، وفي المساء، حوالى الخامسة، سألقاك إذا شئت وسط السوق، وأرافقك بعد ذلك حتى يحين موعد النوم. أما الآن فسأذهب عنك لأموري العاجلة.

انتفولوس السرقوسي : حتى ذلك الوقت إذن، سأتجول في المدينة هائماً صاعداً هابطاً لأتعرف على معالمها.

التاجر الاول: كما تريد يا سيدي.

انتفولوس السرقوسي : إن من يسلمني للأمر الذي أريده إنما يسلمني لما لا أتمكن من بلوغه. إنني في هذه الدنيا كنقطة ماء تبغي أن تبحث وسط المحيط عن نقطة أخرى، فلما سقطت فيه لتتعقب الرفيق، في خفية، وفي تلهف، أضاعت نفسها، وهكذا أنا، أردت أن أجد الوالدة والشقيق، ففقدت لشقائي، نفسي في البحث عنهما. (يدخل دروميو الافسوسي) ها قد قدم رجل هو كالتقويم

يؤرخ لمولدي، ماذا جرى؟ كيف رجعت بهذه السرعة؟.

دروميو الافسوسي : رجعت بهذه السرعة؟ بل قل قدمت بعد هذا التأخر: لقد نضج الفرخ الطري ونزع الخنزير من المشواة، ودقت الساعة بأجراسها، «الثانية عشرة» وسيدتي قد جعلتها تدق «الواحدة»، بصفعة على خدي، ـ وما كان أحدّها ـ لأن اللحم برد، وبرد لأنك لم ترجع إلى المنزل، ولم ترجع إلى المنزل، لأنك لم تجع ولم تجع لأنك لم تحافظ على صيامك، أما نحن الذين نعرف ما الصيام وما الصلاة فسنكفر اليوم عن ذنوبك أنت.

انتفولوس السرقوسي : هدىء من روعك يا رجل، وأخبرني أرجوك، أين أودعت المال الذي أعطيتك إياه.

دروميو الافسوسي : نعم!! تلك القروش الستة التي كانت بحوزتي الأربعاء الماضي كي أدفع للسراج أجر إصلاح سرج سيدتي؟! لقد أخذها السراج يا سيدي ولم أحتفظ أنا بها.

انتفولوس السرقوسي : لا يتحمل مزاجي الآن مزاحاً، أخبرني ولا تعبث، أين المال؟ فنحن غرباء هنا، فكيف

تمكنت أن تأمن على هذه الأمانة الكبيرة وهي
بعيدة عن عينك.
دروميو : سيدي استحلفك بالله وفر هزلك هذا إلى حين
الافسوسي تجلس إلى العشاء لقد جئتك من لدن سيدتي
في طلب عاجل فإن رجعتُ، صيرتني لوحة
لتنقش عليها أخطاءك على أم رأسي. لقد
اعتقدت أن جوفك كجوفي بمثابة الساعة فيدق
لك قائلاً: «إلى المنزل»، دون حاجة إلى
رسول يدعوك إليه.
انتفولوس : كفى يا دروميو كفى، إن هزلك ذاك في غير
السرقوسي أوانه، فأجِّله لوقت أنسب من هذا وأكثر سعادة
أين الذهب الذي ائتمنتك عليه؟.
دروميو : ائتمنتني يا سيدي؟ ما هذا؟ إنك لم تعطني
الافسوسي ذهباً.
انتفولوس : كفى، أيها الوغد، دعنا من حماقاتك تلك
السرقوسي وأخبرني أين أودعت ما ائتمنتك عليه؟.
دروميو : إني لم أؤتمن إلا على أن أحضرك من السوق
الافسوسي للعشاء في المنزل: منزلك، «الفونكس» يا
سيدي. إن سيدتي وشقيقتها بانتظاري.
انتفولوس : بحق ديننا المسيحي، أجب! في أي مكان
السرقوسي حريز قد حفظت مالي؟ وإلا هشمت رأسك

الهذر هذا الذي يتشبث بالهزل وأنا غير مستعد له. أين هذه الألف، من الماركات، تلك التي أخذتها مني.

دروميو الافسوسي : ليس لي غير بعض هذه الضربات ماركات مسجلة على رأسي، وبعض ضربات السيدة على عاتقي، ولكنها لم تبلغ منك ومنها الألف بعد. ولو أرجعتها لسيادتك، فقد لا تستطيع الصبر على احتمالها.

انتفولوس السرقوسي : ضربات سيدتك؟ أيها العبد، أية سيدة هذه التي لك؟

دروميو الافسوسي : زوجة سيادتك، سيدتي! ربة «الفونكس» هذه التي تصوم حتى تحضر إلى المنزل للغداء، وتلتمس أن تسرع بنفسك إلى المنزل لتناول طعام الغداء.

انتفولوس السرقوسي : ما هذا؟ أتهزأ بي، هكذا أمام عيني وقد أنذرتك؟ خذ، خذ هذه، أيها النذل.

دروميو الافسوسي : سيدي، ماذا تقصد؟ كفّ بالله يدك عني وأغللها فإن لم تفعل، يا سيدي، فسأطلق ساقي للريح.

(يخرج)

انتفولوس السرقوسي : قسماً بحياتي، لا بد أن هناك خدعة أو شبه خدعة قد انزلق فيها الشرير فسرق منه مالي كله

إنهم يقولون: إن هذه البلدة مليئة بالغش والضلال،
فمن دجالين بارعين يخدعون البصر إلى
سحرة ماهرين يسلبون اللب، إلى مشعوذات
يقتلن الروح، ويشوهن البدن، إلى غشاشين
متخفين، ومهرجين ثرثارين، وكثير مثل هذا
مما يولده الشر والخطايا. فإذا كان هذا حقيقة
فلأسرع إلى «السنتور»، أبحث عن هذا العبد
فإنني أخاف أن لا يكون مالي في حرز حريز.

(يخرج)

الفصل الثاني

المشهد الاول

(منزل انتفولوس الافسوسي.)

(تدخل أدريانا ولوسيانا).

أدريانا : لم يرجع زوجي، ولا العبد عاد، وقد أرسلته في طلب سيده وتعجلته، لوسيانا، إن الساعة قد بلغت الثانية حقاً.

لوسيانا : ربما تاجر من التجار، قد دعاه فذهب من السوق إلى مكـان ما يتناول فيه غداءه. تعالي يا شقيقتي العزيزة نتناول غداءنا ولا تقلقي. إن الرجل سيّد حرّ. ووقته سيده، إنه، حسبما يسمح به وقته، يروح أو يجيء فتصبَّري يا أختاه اذن.

أدريانا : ولكن لماذا يكون للرجال من الحرية أكثر مما لنا؟.

لوسيانا : ذلك لأنهم يعملون خارج المنزل دائماً.

أدريانا : تأملي كيف أنه كلما تفانيت في خدمته ساءه ما أقدم له.

لوسيانا : اعلمي أنه كلجام لرغبتك ومشيئتك

أدريانا : ليس يلجم هكذا سوى الحمير.

لوسيانا : ولكن الذي تجمح به حريته، يلهبه الأسى بالسوط، فليس هناك، تحت السماء، كائن إلا له قيد، إن كان على الأرض أو في الماء أو في الهواء: البهائم والأسماك، وكل ذات جناح، فإنها تخضع لذكورها، وتأتمر بأوامرها وقد ساد الرجال على كل ما سادوا عليه، لأنهم أكثر ربوبية، فهم أسياد العالم الواسع والبحار الثائرة، لقد وهبهم الله حساً مفكراً ونفوساً متأملة، فعلت مكانتهم على الطيور والأسماك، وأصبحوا لنسائهم السادة والآلهة فاجعلي إرادتك إذن رهناً لمشيئة الرجل.

أدريانا : وهذه العبودية هي التي جعلتك تعرضين عن الزواج!

لوسيانا : كلا، بل هموم الزوجية.

أدريانا : ولكنك ستحتملين شيئاً من السيطرة عليك إذا حدث وتزوجت.

لوسيانا : سأتمرن على الطاعة قبل أن أتلقن الحب.

أدريانا : وماذا لو همَّ زوجك بأن يميل ناحية امرأة أخرى؟

لوسيانا : سأهدأ حتى يعود لمنزله.

أدريانا : يا لصبرك ولكن لا عجب في أنك تتجلدين، إذ كيف لا يتسامح في حقوقه من ليس له في الأصل مثل هذه الحقوق. إن الشقاء قد يعتصر النفس البائسة، فإذا ما سمعناها تبكي طالبناها أن تهدأ. غير أننا، لو احتملنا ثقل ما تحتمل من ألم لشكونا مثلها أو لفقناها في الشكوى، هكذا أنت، ليس لك زوج قاس ليحزنك أو يؤلمك لذلك تطلبين مني جلداً لا ينفع، وتعتقدين أنك تواسينني بذلك. غير أنك لو عشت لتشهدي حقكِ يُسلب مثلهما أُسلبه، لفارقت ما فيك من صبر غرير.

لوسيانا : هذا حسن، سأتزوج، يوماً ما ولو لأجرب. ها ان عبدك قادم وزوجك الآن قريب.

(يدخل دروميو الافسوسي)

أدريانا : هه، أسيدك المتأخر بين يدينا؟

دروميو الافسوسي : كلا، لقد مدّ كلتا يديه علي، وتشهد بذلك أذناي.

أدريانا : أخبرني، هل تكلمت معه وعلمت ما يدور في رأسه؟

دروميو الافسوسي : نعم، نعم، فلقد سكب ما في رأسه كله على أذني تبت يده فلقد علتني بما لم أدركه.

أدريانا : هل كان مغزى كلامه غامضاً فلم تدرك معناه؟

دروميو الافسوسي : كلا، لقد أصاب، وفي غاية الوضوح، وشد ما شعرت بضرباته، ولكنها مع ذلك كانت من الالتواء، بحيث اني التويت فلم أقو عليها.

أدريانا : ولكن، قل لي، أرجوك، هل سيرجع إلى المنزل؟ لشد ما يهتم بأن يدخل السعادة على قلب زوجته!!

دروميو الافسوسي : هكذا إذن! سيدتي، لا ريب أن سيدي قد أصبح كالحمل الثائر.

أدريانا : الحمل الثائر، أيها الوغد!

دروميو الافسوسي : لم أقصد أن أقول إن له قرنين ولكن لا ريب أنه كامل الجنون واضحه، فعندما طالبته أن يرجع إلى المنزل للغداء، سألني عن ألف «مارك» ذهباً فقلت له: «لقد آن وقت الغداء» فصرخ: «ذهبي»، فقلت: «طعامك قد احترق»، فقال: «ذهبي»! قلت: «ألا رجعت إلى المنزل» فقال: «ذهبي» أين الألف مارك التي أعطيتك إياها أيها الشرير؟ فقلت «الخنزير قد احترق»، فقال: «ذهبي»! قلت «يا سيدي سيدتي» فأجاب «فلتنشنق سيدتك» أنا لا أعرف سيدتك هذه، ألق بسيدتك بعيداً واغرب عن وجهي.

لوسيانا : ومن منكما قال هذا.
دروميو الافسوسي : سيدي هو الذي قال ذلك. قال: «أنا لا أعرف منزلاً ولا زوجة ولا سيدة» وهكذا فإن الرسالة التي كان يفترض أن أحملها على لساني. عدت، بفضله، أحملها على كتفي. إنه باختصار، ضربني هنا على كتفي.
أدريانا : ارجع أيها العبد إذن وأحضره إلى المنزل
دروميو الافسوسي : نعم، أحضره وفي الطريق إلى المنزل أضرب من جديد؟ بحق الله، أرسلي مبعوثاً آخر سواي.
أدريانا : ارجع أيها العبد، وإلا شققت رأسك شقاً يجعله مصلباً.
دروميو الافسوسي : ويبارك هو الصليب هذا بضرب جديد ويصبح لي فيما بينكما رأس مقدس.
أدريانا : كفى عبثاً أيها الجاف، اذهب لتحضر سيدك.
دروميو الافسوسي : إني لم أناور معك، بالكلام فلم تشتدين معي وتديرينني كالكرة هكذا. إنك لو أدرتني أنت من هنا وأدارني هو من هناك فلا بد من تغليفي بالجلد إذا بقيت في خدمتكم (يخرج).
لوسيانا : يا لله كم جعل السأم وجهك متجهماً عبوساً.
أدريانا : إن عشيقاته ينعمن بصحبته بينما أنا أتضور في

المنزل شوقاً إلى نظرة رضية منه إن يكن الزمان المقيت قـد سـلب من وجـهي الـبـائس رونق الجمال الآسر فإنه هـو الذي قـد أضاعـه. وإن يكن كلامي قد أصبح ثقيلاً، أو يكن فكـري قد أصبـح عقيماً، أو كـان القول النـافذ الـطلق قد ثقل وتبلد فإنما تبلد من قسوة هي أشد من قسوة الـرخام الصلد وإن كـان الذي يثيـر أحـاسيسـه ويصيدها هو الملابس الزاهية فليس هذا ذنبي، إنـه المسؤول عن حالي، فـأي شيء مهشم فيّ لم يكن هو الذي حـطمه؟ إنـه علّة ما تشـوه من قسمـاتي. وإن جمـالي الـذابـل لتكفيـه نـظرة مشـرقـة منـه كي يسـرع الـرونق إليـه. ولكنـه، كظبي شديـد العدو، قـد تخطى الحـدود وراح يرعى بعيداً عن قطيعه! مـا أنا سـوى لعبته التي بليت حدتها فراح يُغري بها صيده الجديد.

لوسيانا : يـا للغيرة التي تسيء لصـاحبهـا، كفي، تغلبي عليها.

أدريانا : لا يحتمل هذه الإساءة سوى الحمقى الـذين لا إحساس لهم، وأنا على يقين أن عينه قد علقت بسـواي، وإلا فمـا الـذي يمنعـه ان يكـون هنـا الآن؟ أنت تعلمين يـا أختاه أنـه قـد وعـدني أن

يقـدم لي عقـداً هـديـة . كم أتمنى أن يكـون وحيـداً، وحيداً إذ يتـأخر بحيث يـرعى حقـوق الزوجية. فإني أرى الحلية مهما أتقنت صياغتها وأحسن طلاؤها يذهب بريقها. أما الـذهب فيها فيدوم وإن تناوله الآخرون! غير أن كثرة التداول تبلي الذهب، فإذا كان الرجـل ذا سمعة حسنـة فيجب عليـه ألا يسيء إلى سمعتـه بـالخيـانـة والفسـاد. وإذا كان جمـالي لم يعد يفـرح عينيه فليس لي إلا أن أستنفـذ بـالبكـاء مـا بقي منـه فأموت وأنا أبكي.

لوسيانا : ألا مـا أكثر المتيمين البلهـاء الـذين يلقـون بأنفسهم وقوداً للغيرة الخرقاء.

(تخرجان)

المشهد الثاني

(ميدان عام)

(يدخل انتفولوس السرقوسي)

انتفولوس السرقوسي : إن الذهب الذي أعطيته لدروميو محفوظ «بالسنتور»، في مأمن، أما العبد الحريص، فقد خرج من هناك، متجولاً يفتش عني، هذا ما قد كان، فيما يظهر لي، وحسبما سمعت من مضيفي، أني لم أستطع أن أتحدث مع دروميو منذ المرة الأولى التي أرسلته فيها من السوق! ها هو ذا آتٍ (يدخل دروميو السرقوسي) كيف حالك الآن يا رجل!! هل تبدل تغير مزاجك المرح؟ إذا كنت تهوى الضرب، فامزح معي من جديد، أنت لا تعرف «السنتور»؟ ولم تتسلم ذهباً؟! وسيدتك تطلب إليَّ أن أرجع للغداء في المنزل وأنا منزلي «الفونكس»؟ أكنت قد جننت حتى تجيبني بكل هذا الجنون.

دروميو السرقوسي : أية إجابة يا سيدي؟ ومتى تفوهت بمثل هذا الكلام.

انتفولوس السرقوسي : الآن فقط، هنـا بالضبط. لم تكـد تمضي على ذلك نصف ساعة.

درومیو السرقوسي : أنـا لم أشـاهـدك منـذ بعثتني من هنـا إلى حيث نقـطن «بـالسنتـور»، والـذهب الـذي أعـطيتني معي.

انتفولوس السرقوسي : أيها العبد، لقد أنكرت استلام الذهب وكلمتني عن سيـدة وغداء. وجعلتني ـ وأرجـو أن تكـون قد شعرت بذلك ـ أستاء وأغضب.

درومیو السرقوسي : يسرني أن ألقاك في هذه الحال من السعادة ماذا تعني بهذا الهزار؟ قل لي يا سيدي، أرجوك.

انتفولوس السرقوسي : حقاً! أتسخر مني وتهزأ بي وأنا أمامك، أتظنني أمزح؟ إليك، خذ هذه. ثم هذه. (يضربه).

درومیو السرقوسي : اتركني، يا سيدي، بالله، أضـربك هـذا جد أم أنـه عـربـون صفقـة؟ كم قـدّرت لي إذن كي تسومني هذا.

انتفولوس السرقوسي : إذا كنت أتـبسط مـعــك في بـعض الأحيـان فـأجعلك نـديمـاً يضحكني، وأتكلم معـك، أفيكون هذا سبباً في أن تسخر من عطفي بطول لسـانـك وتجعـل من أوقـات جـدي مستبـاحــاً لهـزلـك؟ اسمـع إذا أشـرقت الشمس فـاتـرك بعـوضك الأحمق يلهـو أما إذا حجبت شعـاعها

فـاستخف به في الشقـوق، اقـرأ طـالعـك في وجهي قبل أن تهزر معي وكيّف سلوكك حسبما تـراه في نظراتي وإلا علمتـك كيف تسلك هذه الوسيلة بالضرب في خوذتك هذه.

دروميو السرقوسي : أتسمي رأسي خـوذة؟ لـو أنـك تـوقفت عن الضرب لفضلت أن تبقى رأساً، أمـا إذا أكملت هذا الضرب طـويلاً، فـلا مناص لي من خـوذة لـرأسي، ولا بـد أن أعتمـرهـا أيضـاً، وإلا اضطررت أن أثبت ذكائي بأن أفرّ وأريك عرض أكتـافي، ولكن، قل لي أرجـوك يـا سيـدي لم أتعرض للضرب؟

انتفولوس السرقوسي : ألا تعلم.

دروميو السرقوسي : أنـا لا أدري شيئاً يـا سيـدي، إلا أنني أتعـرض للضرب.

انتفولوس السرقوسي : أأقول لك لِماذا؟

دروميو السرقوسي : نعم يـا سيدي، ومـا الداعي : فهم يقـولـون إن لكل «لماذا؟» «داع».

انتفولوس السرقوسي : أولاً، لماذا؟ لأنك تهزأ بي أما الـداعي فلأنـك أثقلت علي بسخريتك مرة ثانية.

دروميو : هل ضرب رجل هكذا من قبل دون سبب؟ فهذا
السرقوسي «الـداعي»، وهذه «لمـاذا؟»، لا وزن فيهما ولا
معنى أنا على أية حال أشكرك يا سيدي.

انتفولوس : تشكرني يا رجل، على ماذا؟
السرقوسي

دروميو : على هذا الذي تعطيني دون شيء قدمته.
السرقوسي

انتفولوس : سأعوضك هذا في المرة القادمة، فلا أعـطيك
السرقوسي شيئاً وأستقضيك مقابل ما تقدم. ولكن أخبـرني
يا سيد، هل حان وقت الغداء؟

دروميو : كـلا يـا سيـدي، فمـا زال اللحم ينقصـه مـا
السرقوسي أصابني.

انتفولوس : حقاً؟ ولكن ما هذا؟
السرقوسي

دروميو : أن يجفَّف.
السرقوسي

انتفولوس : ولكنه إذا جفف صار قديداً.
السرقوسي

دروميو : فإن أصبح كـذلك يـا سيدي فـأرجو منـك أن لا
السرقوسي تأكل منه شيئاً.

انتفولوس السرقوسي : وما يدفعك إلى هذا الرجاء؟

دروميو السرقوسي : حتى لا تصيبك الصفراء فتغضب وتجرّ علي الصفع والضرب مرة أخرى.

انتفولوس السرقوسي : اسمع يا رجل، تعلّم أن تهذر في الوقت المناسب، فلكل شيء وقته، متى حان أوانه.

دروميو السرقوسي : إني لأنكر هذا، وما كنت أجرؤ على إنكاره قبل أن أخذتك الصفراء والغضب.

انتفولوس السرقوسي : وبماذا استدللت على هذا؟

دروميو السرقوسي : أف يا سيدي، دليل واضح وضوح الصلع في رأس أبينا الزمان نفسه.

انتفولوس السرقوسي : فلنسمعه إذن.

دروميو السرقوسي : إذا أصاب الصلع الرجل طبيعياً فلن يجيء زمان يسترد فيه شعره.

انتفولوس السرقوسي : ألا يقدر على ذلك ولو طلب تعويضاً أو استصدر أمراً بالاستيلاء.

دروميو السرقوسي : بلى، يغرم ثمن الشعر المستعار ويستولي على شعر فقده امرؤ آخر.

انتفولوس : ولم يبخل الزمـان هكذا بـالشعر وهـو كما نـرى
السرقوسي نبت كثير وافر؟

دروميو : لأنه نعمة تكرّم فيها على الحيوان، وما بخل من
السرقوسي شعر على الإنسان عوضه به عقلاً.

انتفولوس : ولكن كيف، وهناك الكثير من الـرجال شعـرهم
السرقوسي أكثر من عقلهم؟

دروميو : ليس من بين هؤلاء رجـل فقـد شعـره إلا وعقله
السرقوسي هو الذي جره إلى ذلك

انتفولوس : أنت تقرر النتيجة إذن أن الرجل ذا الشعر ساذج
السرقوسي ليس له عقل

دروميو : وكلما نافت سذاجته كان أسرع إلى فقد شعره.
السرقوسي ولكنه يفقده متعمداً إلى حد ما.

انتفولوس : وما الذي يدفعه إلى ذلك؟
السرقوسي

دروميو : سببان، وكل منهما معقول أيضاً.
السرقوسي

انتفولوس : إذن هما مؤكدان؟
السرقوسي

دروميو : كـلا، كيف يكونـان مؤكـدين في أمـر كله ريب
السرقوسي وزيف؟

انتفلوس : عدّدهما

السرقوسي

دروميو : أولهما ادخاره لما ينفقه من مال على تزيينه، أما

السرقوسي الثاني فكي لا تقع شعرة في حسائه وهو يأكل.

انتفولوس : لكأنك تود طوال هذا الوقت إثبات أن ليس لكل

السرقوسي شيء وقت إذا آن أوانه.

دروميو : بل لقد فعلت يا سيدي، ودللت خاصة على أنه

السرقوسي لن يحين وقت يسترد فيه المرء ما سقط من شعره.

انتفولوس : إلا أن دليلك لم يشرح لم لا يحين وقت يسترد

السرقوسي فيه الشعر؟

دروميو : أعود له إذن لأقول: الزمن ذاته أصلع. إذن:

السرقوسي إلى يوم الدينونة سيتخذ الزمان حاشيته من الصلعاء.

انتفولوس : كنت أعلم أنك ستأتي بنتيجة كهذه صلعاء

السرقوسي جرداء لا فائدة منها. ولكن تمهل!، من الذي يشير إلينا من هناك.

(تدخل أدريانا ولوسيانا)

أدريانا : أجل، يا انتفولوس، أجل انظر إليّ متعجباً غضوباً، فابتساماتك الحلوة أصبحت لامرأة ثانية. أنا لست أدريانا، لا ولست زوجك لقد

مرّ وقت كنت تقسم فيه ـ وإن لم يسألك أحـد ـ أن الكلام لا يكون لحناً في أذنك، وأن الأشياء لا تـروق في عينيـك وأن يـدك لا يحلو لهـا ملتمس، وذوقـك لا يستسيـغ طعمـاً، حتى أكلمك، وأنظر اليك وألمسك أو أقوم بخدمتـك فمـاذا جرى الآن يـا زوجي، مـاذا جـرى أنـك نفرت من روحك. نعم، من روحك. إذ نفرت مني. فأنا، قـد اتحدت بجسـدك لا يفرق شيء بيننا أفضل من أعـز ما في نفسـك من روح، لا تنتزع نفسك مني! إنه لأسهل عليـك يا حبيبي ـ لـو علمت ـ أن تسقط قـطرة من المـاء في لجـة خليج هائجة أمواجـه ثم تستخلص تلك القطرة نفسهـا خالصـة دون زيادة أو نقص من أن تنـزع نفسـك مني دون أن تنـزع نفسي معهـا. ولكم كنت تؤذي في صميم إحسـاسـك لـو أنـك سمعت، مجرد سماع أنني قـد تبذلت وإن هـذا الجسد، الذي انفردت به، وحـدك. قد دنستـه شهـوة غليـظة محـرمـة. أمـا كنت تبصق علي وترفسني، وترمي في وجهي مقـالك إنـك براء من زوجيتي. بل تمزق البشرة القذرة عن جبيني الداعر، وتنـزع من يدي الخـائنة خـاتم الزواج

لتدمره، وتدمر معه زواجنا بيمين طلاق بائن؟
أنا أعرفك قادراً على هذا، فهيا الآن وافعله،
لقد تملكتني لوثة زانية، وخالطت دمي سوداء
العهر، فما دمنا نحن كلانا شخصاً واحداً، وما
دمت أنت تمكر وتلهو فسأسيغ السم من لحمك
الذي مازج لحمي، وسيصيبني العهر من
عدواك. أما إذا راعيت الحقوق التي التزمت بها
لزوجتك الأمينة فسأحيا لك لا تشوبني شائبة،
وأنت لي لا يمس عرضك سوء.

انتفولوس : سيدتي الجميلة، أتبثين لي أنا هذه الشكوى؟

السرقوسي : أنا لا أعرف من أنت، فلم يمض عليّ في
إفسوس إلا ساعتان، وأنا غريب في مدينتكم
غربتي عما أتى عليه كلامكم وإني، وقد
تفحصت بقواي جميعها كل كلمة، فلم أستطع
أبداً أن أعي كلمة واحدة مما نطقت به.

لوسيانا : كفى يا أخي، كم تبدلت الدنيا، منذ متى
أخذت تعامل أختي على هذا الشكل؟ لقد
أرسلت مع دروميو تطلبك للغداء في المنزل.

انتفولوس : مع دروميو؟

السرقوسي

دروميو : معي؟
السرقوسي

أدريانا : أجل معك، وقد وعدت أنت من لدنه تقول إنه قد لطمك، وأنه أثناء ضربه لك، أنكر أن منزلي منزله، وأنني زوجته.

أنتفولوس : هل تكلمت، أيها الرجل، مع هذه السيدة؟ إلى
السرقوسي ماذا تفضي بنا تصرفاتك، وماذا ترمي بتآمرك عليّ.

دروميو : أنا يا سيدي؟ أنا لم أرها بتاتاً قبل الآن
السرقوسي

انتفولوس : أنت تكذب أيها الشرير، إن كلماتها نفسها
السرقوسي هذه، قد كررتها أنت على مسمعي في السوق.

دروميو : أنا لم أتكلم معها في حياتي.
السرقوسي

انتفولوس : فكيف تمكنت أن تنادينا إذن بأسمائنا غير أن
السرقوسي يكون هذا وحياً منزلاً!

أدريانا : كم هو غير لائق بوقارك أن تقوما بهذا التمثيل السخيف، أنت وعبدك وأن تشجعه على أن يغيظني وأنا غضبى. كفاك إساءة إليّ فإنك قد ابتعدت عني، فلا تضف الإساءة إيلاماً بمزيد من الازدراء. تعال، سأتعلق بذراعك هذا،

فأنت يا زوجي، شجرة سنديان، وأنا كـرمة قـد
زفت بوهنها إلى عودك الأشد فشاركتك قـوتك.
فإن سلبك أحد مني فلن تكون حـاله إلا كحـال
حفنة من العليق المغتصب أو العوسج الشائـك
أو الـطحلب العقيم، وقد افتقـرت كلها إلى من
يشذبها فتـطفلت عليك تسمم عصـارتك وتحيـا
على تدميرك ووهنك.

انتفولوس السرقوسي : إنهـا!؟ تكلمني، وتـدفـع بي كيفمـا تشـاء أو تـزوجتها في الحلم!؟ أم أنـا نائم الآن، يخيـل إليّ أني أسمـع كل هـذا؟ أي خطأ هـذا الـذي يضلل أدوات سمعنـا وبصـرنـا؟ ولكن إلى أن أتبين صحـة هـذا الأمـر المـريب ريبـة أكيـدة فلألهون بهذه الغلطة التي قدّمت إليّ.

لوسيانا : درومـيـو، اذهب فاطلب من الخـدم أن يجهـزوا المائدة.

دروميو السرقوسي : لـو كـانت سبحتي معي، لاستغفـرت الله عن ذنـوبي وآثامي! إن هـذه لهي أرض الجان، يـا لشـر المكائـد! إننـا نكلم الجن، والشيـاطين، والعفاريت، والأرواح فإن لم نطعهـم فإليك ما سيحدث لنا. . . . تمتص دماءنا أو تلسعنا حتى يسود جلدنا أو يزرق .

لوسيانا : بماذا تكلم نفسك ولا تجيب؟ دروميو أيها الزنبور البليد، أيها الحلزون، يا رخم يا أحمق.

دروميو السرقوسي : سيدي، لقد مسخت، أليس كذلك؟

انتفولوس السرقوسي : أعتقد ذلك، لقد مسخ عقلك كما مسخ عقلي أنا أيضاً.

دروميو السرقوسي : كلا يا سيدي، لقد مسخت أنا في العقل وفي الهيئة معاً.

انتفولوس السرقوسي : ولكنك ما زلت على شكلك وهيئتك.

دروميو السرقوسي : كلا، لقد أصبحت قرداً.

لوسيانا : إذا كنت تحولت إلى شيء فإنك قد تحوّلت إلى حمار.

دروميو السرقوسي : نعم، هذا صحيح، فهي تركبني وأنا من تحتها أشتهي المرعى حقيقة، إنني حمار وإلا لعرفتها، كما تعرفني بلا شك.

أدريانا : هيا، هيا، فلن أظل بلهاء - أضع إصبعي في عيني كالصغار لينزل دمعي، بينما الخادم وسيده يضحكان ساخرين من حزني. هيا يا

سيـدي للغداء. دروميـو، احرس البـاب، إنني
سأتناول طعام الغداء معك اليوم يا زوجي بالطابق
العلوي وسأجعلك تعترف بحبك، وبذلك تكفر
عن ألف نـزوة ماجنـة. وأنت، إذا سألـك أحـد
عن سيدك فقل إنـه يتناول طعـام الغداء خـارج
المنـزل، ولا تأذن لمخلوق بـالدخـول. هنا يـا
أختـاه. دروميو كن حـارساً أمينـاً وقم بواجبـك
خير قيام.

انتفولوس السرقوسي : أعـلى الأرض أنـا، أم فـي الـجـنـة، أم فـي
الجحيم؟ أمستيقظ أنـا أم نائم، أمجنـون أنا أم
بكامل قواي العقلية؟ أفتعرفني هاتان حقاً بينمـا
لا أستـطيـع أنـا أن أعـرف نفسي ولا من أكـون
فلأقل بما تقولان ولأواصل هذا الذي بدأتا به،
ولأسيرن في الضباب نحو كل مغامرة.

درروميو السرقوسي : سيدي. هل أحرس ذلك الباب؟

أدريانا : أجـل ولا تـدع أحـداً يـدخـل وإلا هشمت
جمجمتك.

لوسيانا : هيا «انتفولوس» هلم لقد تأخرنا على الغداء.

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(أمام بيت انتفولوس الأفسوسي)

(يدخل انتفولوس الأفسوسي، ودروميو الأفسوسي وانجلو وبالتزار).

انتفولوس الافسوسي : أنجلو، أيها السيد الكريم لا بد أن تسمح لنا في الانصراف، فإن زوجتي تستشيط غضباً إذا لم أحترم المواعيد فهل تخبرها بأنني تأخرت في محلك، لأشرف على صياغة عقدها، وإنك ستحمله إليها غداً في المنزل لكن هذا الشرير سيخذلني فينقل إليها فرية أنه لقيني في السوق وأنني ضربته، وأنني تركت في أمانته ألف مارك من الذهب وأنكرت زوجتي ومنزلي أيها السكير! يا هذا، ماذا تعني؟

دروميو الافسوسي : قل ما شئت يا سيدي، ولكني أعلم ما أعلم، أعلم أنك ضربتني في السوق، وبي من آثار يدك ما أبرزه دليلاً، ولو أن جلدي كان ورقاً، وضرباتك التي أنزلت بي مداداً، لعرفت رأيي مما خطته يدك.

انتفولوس الافسوسي : رأيي أنا هو أنك حمار.

دروميو الافسوسي : حقاً، فإن هذا جلي مما قاسيت من إساءة وما احتملت من ضــرب، ولا بـد لي من أن أرفس إذا رُفِسْتُ، ومن الأفضـل لك، وأنت في هـذا المــأزق، أن تتجنـب حــوافـري وأن تحــذر الحمار.

انتفولوس الافسوسي : إنك مغتم حزين يـا سيد بـالتزار، وإني لأسـأل الله أن يكون طعامنا الـذي نقدمـه إليك جـديراً برغبتي الحقة في الترحيب بك، بل جديراً بما يليق بك، في بلدنا من حسن اللقاء.

بالتزار : طعامك الـطيب لا يهمني يا سيـدي ولكني أعتز بترحيبك الكريم.

انتفولوس الافسوسي : يا سيد بالتزار، إننـا متى جلسنا إلى لحم أو إلى سمك، أدركنا ان المائدة المثقلة بـالترحـاب لا تعادل طبقاً طيباً واحداً.

بالتزار : إن الـطعام اللذيـذ متوفـر يا سيـدي كل خسيس يستطيع أن يقدمه.

انتفولوس الافسوسي : وكذلك الترحاب أكثر وفرة، إنـه ليس إلا مجرد ألفاظ.

بالتزار : إن في الـزاد الخفيف والترحـاب الجم ما يـولم وليمة بهيجة.

انتفولوس الافسوسي : نعم، حقـاً، إذا كان رب الـدار مقتـراً والضيف سموحاً. ولكن تقبـل الموجـود من طعامنـا وإن كان قليلاً، فقد يُقدم إليك طعام أفضل من هذا ولكنه لن يقدم بشعور أكرم ماذا! مهلاً، إن بابي موصد. اذهب ومرهم أن يفتحوا لنا.

دروميو الافسوسي : مـود، بـرجيت، مـريـان، سيسلي، جيليــان، جين!

دروميو السرقوسي : (من الـداخل)، يـا حمار الـطاحون، يـا أبله يا طـرطور، يـا أحمق، يـا مجـذوب، ابتعـد عن البـاب أو أصمت حيث انت هـل أتيت لتغـري العاهرات بسلعك يا قـواد لتنادي على كـل هذا الحشـد منهن مـع أن واحــدة هي أكـثـر من الكفاية؟ هيا ابتعد عن الباب.

دروميو الافسوسي : من ذا الأبله الذي جعلوه بوابنا؟ إن سيدي ينتظر في الشارع!

انتفولوس الافسوسي : من هـذا الذي يتكلم من الـداخل؟ هيـه! افتح الباب!

دروميو السرقوسي : (من الـداخل) مـا هذا يـا سيـدي؟ ستعلم متى أفتح لك إذا أخبرتني لماذا أفتح.

انتفولوس الافسوسي : لماذا؟ لأتغدى؟ إني لم أتناول طعام الغداء اليوم.

دروميو السرقوسي : (من الداخل) ولن تجد اليوم غداءك هنا، فعد ثانية، إن شئت.

انتفولوس الافسوسي : ومن أنت الذي يمنعني عن منزل هو منزلي؟

دروميو السرقوسي : بواب هذه النوبة يا سيدي، وأُدعى دروميو.

دروميو الافسوسي : ويحك أيها الشرير. لقد سلبتني عملي واسمي معاً. أما الأول فإنه لم يشرفني أبداً، وأما الثاني فلقد جر علي الكثير من الهم والغم. فلو أنك كنت اليوم دروميو في مكاني، لفضلت اسماً آخر لوجهك أو وجهاً آخر لاسمك.

لوسي : (من الداخل) ما هذه الضوضاء التي هناك يا دروميو؟ من هؤلاء الذين بالباب؟

دروميو الافسوسي : لوسي، دعي سيدي يدخل.

لوسي : (من الداخل) كلا! وشرفك، لقد تأخر كثيراً، قل هذا لسيدك.

دروميو الافسوسي : يا رب، لا بد أن أضحك، إليك هذا المثل: «هل ألقي عصاي؟».

لوسي : (من الداخل) إليك رد المثل: «وإذا عصتك عصاك؟».

دروميو السرقوسي : إن كان اسمك يا لوسي يعني سهماً فإنك يا سهم قد أصبت في الرد عليه.

انتفولوس الافسوسي : ألا تسمعين يا بنت؟ دعينا ندخل، إني آمرك.

لوسي : (من الداخل) كنت فكرت أن أدعوكم!!

دروميو السرقوسي : (من الداخل) ثم قلت، لا.

دروميو الافسوسي : بالضبط! أصبت يا هذه. وهذه حقاً دقة بدقة.

انتفولوس الافسوسي : أيتها الفاجرة، افتحي الباب لأدخل.

لوسي : (من الداخل) قل لي، لمن أفتح؟

دروميو الافسوسي : سيدي، اطرق الباب بقوة.

لوسي : (من الداخل) دعه يطرقه حتى يؤلمه.

انتفولوس الافسوسي : ستبكين يا بنت لهذا إذا دفعت الباب فحطمته.

لوسي : (من الداخل) وما الدافع لكل هذا وفي البلدة سجان بمقبضه.

أدريانا : (من الداخل) من ذا الذي يثير كل هذا الصخب بالباب؟

دروميو السرقوسي : (من الداخل) يظهر والله أن مدينتكم مبتلاة بشبان لا يحكمهم أحد.

انتفولوس الافسوسي : أأنت هنا يا زوجتي، أما كان حري بك أن تأتي منذ زمن؟

أدريان : (من الداخل)! أيها الوغد، هيا ابتعد عن الباب.

دروميو السرقوسي : أقسم لك أنك لو دخلت يا سيدي، لكانت كلمة الوغد أخف ما تحتمل.

انجلو : لا طعام هنا يا سيدي ولا ترحيب وقد كنا نقنع بأي منهما.

بالتزار : لقد ظللنا نتناظر أيهما أفضل، وإذا نحن نعود دون الفوز بأحدهما.

دروميو الافسوسي : إنهما يقفان بالباب يا سيدي، أدعهما يتفضلا.

انتفولوس الافسوسي : لا بد أن في الجو شيئاً، ولهذا لا نستطيع الدخول.

دروميو الافسوسي : قد كان يحق لك أن تقول هذا يا سيدي لو أن ملابسك كانت خفيفة، غير أن طعامك في الداخل ساخن وأنت واقف في البرد، وحري

بـالمـرء أن يجن جنـون الأرنب البـري إذا كـان
هكذا يباع ويشـرى.

انتفولوس : هيـا ابحث لي عن شيء فإنني سـأهشم البـاب
الافسوسي تهشيماً لأفتحه.

دروميو : (من الداخل) إذا فتحت أيـة فتحة هنـا، فتحت
السرقوسي رأسك الأحمق.

دروميو : ألا يستـطيع المـرء أن يفتح فـاه بكلمـة معـك؟
الافسوس ليست الألفاظ إلا ريحاً يا سيدي، ومن الأفضل
أن يـطلقهـا في وجهـك حتى لا يـطلقهـا من
الخلف.

دروميو : (من الداخل) يبـدو أنك أنت الـذي يحتاج إلى
السرقوسي تهشيم، هيا امضِ، أيها التيس!

دروميو : لقد زاد الأمر عن حده جداً، «امضِ»! أرجوك
الافسوسي دعني أدخل.

دروميو : (من الداخل) لن تدخل حتى تصبح الطيـور بلا
السرقوسي ريش والأسماك دون زعانف.

انتفولوس : بـل سأدخـل غصباً، اذهب فـاستعر لي فتـاحـاً
الافسوسي للباب.

دروميو : أنت تـريـد طيـر الفتـاح الـذي لا ريش لـه، يـا
الافسوسي سيـدي، أليس كذلـك؟ أنا أعـطيـك طيـراً بـلا
ريش إن أعـطيتني سمكـة بـلا زعـانف، فـإن

ساعدنا الفتاح الحديدي على الدخول فسنسوي حسابنا معاً يا رجل.

انتفولوس : هيا تحرك، اذهب واحضر لي فتاحاً من حديد.

الافسوسي

بالتزار : اصبر يا سيدي، لا تدع الأمر يصل إلى هـذا. إنــك بفعلك هـذا إنمـا تشهـر الحـزب على شهرتك وسمعتك وترفع إلى مراقي الريبة شرف زوجتك الذي لم يمس. وكل ما أريـد قولـه إن خبرتك الـطويلة بحكمتها، وبـرزانة فضـائلها، وبوقار سنها، وباحتشـام تحفظهـا، لتدفـع عنها سوء ظنك بعـذر قد تجهله أنت. فـلا ترتـاب يا سيـدي في أنهـا ستتقـدم بـأحسن الأعـذار عن إيصاد الأبواب الآن في وجهك أطعني وانصرف صـابراً وهلم نتنـاول طعام الغـداء جميعـاً عنـد «تـايغر» ثم ارجـع أنت في المساء بمفـردك كي تعلم سبب هذا المنع الغـريب، أما إذا حـاولت الـدخول غصبـاً وعنـوة والنهـار الآن تشتـد فيـه الحركة، فسيعلق الناس على هذا تعليقـاً شائناً معيباً، بل سيظنه الرعاع ثلمـاً لسمعتك التي لم تمس حتى اليوم، عندئذ سيتكلمون بـالسوء في شرفك، ثم يعلق هذا السوء بقبرك بعد مماتك،

فإن الافك يعيش موروثاً جيلاً بعد جيل، مقيماً
إلى الأزل حيثما يضع يده.

انتفولوس الافسوسي : أصبت، سأذهب في سكون وسأحرص على أن أكون مرحاً بالرغم من غيظي. إنني على معرفة بامرأة طلية الحديث، مليحة فكهة، وحشية وإن تكن مع ذلك وديعة، فهيا نتغدى عندها ـ وهذه المرأة هي التي كانت زوجتي، وأقسم بالله أنها في ذلك مخطئة ـ كثيراً ما تتهمني بها. هلم نذهب إليها لنتناول طعام الغداء عندها، (إلى أنجلو) عد أنت إلى متجرك واطلب العقد كي أتحقق بذلك أنه قد تم صنعه، ثم خذه أرجوك إلى «البوربنتيين» فهناك يقع منزل المرأة، ولسوف أقدم العقد هدية ـ إن لم يكن لشيء فلإغاظة زوجتي ـ إلى مضيفتي تلك هناك. هيا أسرع أيها الرجل الكريم، فإذا كانت أبواب منزلي قد رفضت أن تفتح لتستقبلني فسأطرق غيرها لأرى هل هي الأخرى ستردني أو تزدريني.

انجلو : سألقاك إذن هناك بعد ساعة تقريباً.

انتفولوس الافسوسي : أجل افعل، وإن تكن هذه المداعبة ستكلفني بعض الغرامة.

(يخرجون).

المشهد الثاني

(ذات المشهد).

(تدخل لوسيانا وانتفولوس السرقوسي).

لوسيانا : أإلى هذا الحد يمكن أن تكون قد نسيت واجب الزوج؟ ويحك يا انتفولوس أوتجف في ربيع الحب ورود ودادك، ويحل الخراب بالحب وهو بعد لم يكتمل بناؤه. إذا كنت قد اقترنت بشقيقتي لغناها فمن أجل هذا الغنى ترفق في معاملتها أكثر مما تفعل. وإذا كنت قد أحببت أخرى، فتنقلت في حبك، فافعل هذا خفية وتستر على حبك الخائن ببعض المظاهر لتعميتها لا تدع شقيقتي تقرأ هذا في عينيك ولا تجعل لسانك هو الذي يعلن خيانتك وعارك، كن لطيفاً في نظرتك وترفق في كلامك فهذا أليق بالخيانة، والبس الرذيلة ثياباً تبدو فيها كالفضيلة. تظاهر بالوفاء والإخلاص وإن كان قلبك قد تدنس وعلّم الخطيئة كيف تسلك سلوك القديس المقدس، مارس الخيانة في السر فما حاجتها لأن تُعرف؟ فما من سارق،

مهما يكن ساذجاً، يتفاخر بجريمته. وإنها
لإساءة مضاعفة أن تخون زوجتك ثم تجعلها
تقرأ هذا في عينيك وأنت تكلمها. فقد يكون
للإثم، إذا أحكم تدبيره، شهرة زائفة تستره.
والمقالة الشريرة تضاعف من شر الأعمال
الآثمة. فوا حسرتاه علينا نحن النساء! دعونا
نتوهم على الأقل أنكم تحبوننا ما دمنا وُلدنا -
هكذا - كلنا ثقة. وإذا عانقتم غيرنا بذراعين
فعانقونا، نحن الزوجات، بكمين، نحن ندور
في فلككم وتحركوننا أنّى أردتم هيا أيها الأخ
الكريم، أدخل مرة ثانية وواس شقيقتي
واسعدها، وقل لها: زوجتي فقد يكون من
المزاج المستحب أن تنافق قليلاً، متى أخمد
الخلاف نسيمات التملق العذبة.

انتفولوس السرقوسي : سيدتي الجميلة - ولست أعلم لك اسماً غير
هذا، بل لست أدري بأي معجزة أصبت في
معرفة اسمي - لست فيما يظهر منك من لطف
خارق ومعرفة معجزة، أقل عجباً من معجزة
الأرض، بل أنت إلهية، وأرفع وأسمى من
الأرض ذاتها، فاكشفي لفهمي الأرضي الغليظ
السميك الذي اختنق بالأكاذيب فأصبح عليلاً

ضحــلاً ضعيفــاً عن المغــزى الخفي لسحــر
كـلامك. لمـاذا تتصـدين لـزوجتي في وفـائها
الصـادق، لتجعليها تضـل في أرض مجهـولـة؟
أأنتِ إلـه؟ فهـلا كــررتِ ورائي من جـديـد؟
حوّليني بقدرتك وأنا أستسلم لسلطانك. أما إذا
بقيت أنـا ما أنـا، فإني لأعـرف يقيناً أن أختـك
تلك البـاكيـة ليست هي زوجتي، وأني لا أدين
لحقـوقها الـزوجية بـأي ولاء. ولكن كم أميل،
كم أميـل إليك أنت، آه لا تـدفعيني بنغمك يـا
عروس البحر الجميلة، إلى أن أغـرق في دموع
أختك الغزيرة الفياضـة عروس البحـر، ادعيني
إليـك أنت بشـدوك أجن عشقــاً وانشـري على
الأمواج الفضية جدائلك الذهبية فأتخذها مرقداً
أرقـد عليها، وفي نشـوة هـذا الـوهم الـرائـع،
أحس أنه قد فـاز بالغنم من تيسـرت له أسبـاب
ميتة كهذه، ولتغرق الأمواج مـرقدي بـالحب إذا
أثقلته الخيانة.

لوسيانا : ما هذا؟ أأنت مجنون فتفكر كما تفكر هكذا؟

انتفولوس السرقوسي : لست أنا بمجنون ولكنني مغرم، قد توفق - وإن كنت لا أدري كيف - في الوصول إلى حبيبته.

لوسيانا : هذا جنون منشؤه بصرك.

انتفولوس السرقوسي : نعم لطول بقاء نظري عن قرب في شعاعك يا شمسي الجميلة.

لوسيانا : سدّد نظرك إلى حيث يجب، فسيجلو هذا بصرك.

انتفولوس السرقوسي : يا حبيبتي الجميلة؟ لا فرق في الظلام في أن يغمض المرء عينيه أو أن يفتحهما.

لوسيانا : لماذا تدعوني حبيبتك؟ قل هذا لشقيقتي.

انتفولوس السرقوسي : بل أقوله لأخت شقيقتك.

لوسيانا : تقصد شقيقتي؟

انتفولوس السرقوسي : كلا، وإنما لك أنت يا شقيقة الروح، يا جلاء البصر لعيوني، يا روح الفؤاد من شغاف فؤادي، يا زادي ونصيبي، ومطمح العذب من أملي، يا سمائي الوحيدة على الأرض وأملي في جنان السماء.

لوسيانا : هل شقيقتي هي كل هذا، أم هي التي ينبغي أن تكونه.

انتفولوس السرقوسي : سمّي نفسك إذن «شقيقة» يا حلوة، فأنا اقصدك أنت، وأنت التي سأحب ومعك سأمضي حياتي، ليس لك زوج بعد وأنا ليس لي زوجة، فأعطني يدك.

لوسيانا : تمهل يا سيدي. توقف مكانك، سأذهب وآتي بشقيقتي لأعرف رأيها.

(تخرج)

(يدخل دروميو السرقوسي مسرعاً من بيت انتفولوس الافسوسي).

انتفولوس السرقوسي : ماذا، ماذا حدث الآن يا دروميو؟ وإلى أين تركض مسرعاً هكذا؟

دروميو السرقوسي : أتعرفني يا سيدي؟ هل أنا؟ خادمك؟ هل أنا أنا حقاً نفسي؟

انتفولوس السرقوسي : أنت أنت دروميو، إنك رجلي، أنت هو نفسك.

دروميو السرقوسي : أنا حمار، أنا عبد امرأة، وفي الوقت ذاته أنا هو أنا نفسي.

انتفولوس السرقوسي : عَبْدُ أية امرأة يا هذا؟ وماذا تعني بقولك هذا: وأنك في الوقت ذاته ما زلت أنت نفسك؟

دروميو السرقوسي : آه يا سيدي لقد جننت، أنا عبد امرأة. امرأة تطالب بي، تلاحقني، تتملكني ستستولي علي.

انتفولوس السرقوسي : وأي حق لها عليك؟

دروميو السرقوسي : ببساطة يا سيدي، مثل ما لك من حق على حصانك. انها تريد أن تتملكني كالبهيم. ولا

أعني أنني بهيم، فهي تـريـد أن تتملكني، بـل أعني أنهـا هي الكائن البهيمي فهي تـطالب بي في بهيمية.

انتفولوس السرقوسي : ومن تكون؟

درروميو السرقوسي : جسـد جليل. نعم، جسـد ضخم، لا يتحـدث عنه المرء إلا إذا استعاذ بالله قبل أن يفعل، ولـو أنـك قارنت بيننـا فسيكون حـظي في المقـارنـة ضئيـلاً نحيلاً كـالعرق، وإن كـانت هي مقترنـة بشحم فظيع وسخ.

انتفولوس السرقوسي : ماذا تعني بمقترنة بشحم؟

درروميو السرقوسي : آه يا سيدي، إنهـا خادمـة المطبـخ. إنها شحم في شحم، ولا أدري ماذا أصنع بوسخها إلا أن أتخذ من الشحم الوسخ وقود قنـديل فـأفر منهـا على ضوئه، وإني لأجزم أن أسمالها وما عليهـا من شحم لـو أحرقت لأدفـأت شتـاءً كـامـلاً في بولندا، وأنها لو عاشت إلى يوم الدينونـة لظلت أسبوعاً تحتـرق بما عليهـا بعد أن ينتهي العـالم كله من الاحتراق.

انتفولوس السرقوسي : وما هو لون بشرتها؟

دروميو السرقوسي : مطلية الوجه بلون حذائي. إلا أنَّ وجهها يختلف عن حذائي في أنه لا يمكن أن يقال عنه إنه نظيف بحال من الأحوال. لماذا؟ لأنها تتفصَّد عرقاً، وعلى وجهها من الطلاء ما يضطر المرء إلى غطاء لحذائه ليتجنب وساخته.

انتفولوس السرقوسي : ولكن هذا عيب يمكن الماء أن يصلح من شأنه.

دروميو السرقوسي : كلا، يا سيدي، إنه محفور في الجلد، وكل طوفان نوح لا يمكن أن يغسله.

انتفولوس السرقوسي : وما اسمها؟

دروميو السرقوسي : باع، يا سيدي، ولكن اسمها وبزيادة ثلاثة أرباعه، أي باع وأرباع ثلاثة، غير كافية لقياس عجيزتها من كفل لكفل.

انتفولوس السرقوسي : إذن هي تعد عريضة.

دروميو السرقوسي : ليس ما بين رأسها وقدميها بأطول مما بين الكفل اليمين والكفل اليسار، انها مستديرة كالكرة الأرضية، بل أستطيع أن أتبين الأمصار والبلدان عليها.

انتفولوس : إذن في أي قسم منها تقع ايرلندا؟
السرقوسي
درومیو : في مؤخـرتها يـا سيدي، ولقـد عرفت مـوقعهـا
السرقوسي بمصارف المياه ومجاريها.
انتفولوس : وأين اسكتلندا؟
السرقوسي
درومیو : لقيتها في خشونة الكف الأجرد.
السرقوسي
انتفولوس : وأين فرنسا؟
السرقوسي
درومیو : في جبهتها، إنها تشكو من البثور نـافرة عـاصية
السرقوسي قد نفرت على تاجها وولي عهدها.
انتفولوس : وانكلترة؟ اين؟
السرقوسي
درومیو : فتشت عن تلال الطباشير فلم أجد لديها بياضـاً
السرقوسي البتـة، وأغلب الظن أن انكلتـرة إنما تقـع على
ذقنهـا لما يسيـل بين جبهتها، فـرنسـا، وذقنهـا
انكلترا، من سيل مالح من جراء الزكام.
انتفولوس : وأين اسبانيا؟
السرقوسي

درروميو السرقوسي : الحق أقول لك يا سيدي، إن هذه لم أشاهدها ولكني أحسست حرها في أنفاسها.

انتفولوس السرقوسي : فأين أمريكا وجزائر الهند؟

درروميو السرقوسي : آه يا سيدي، على أنفها. قد أثقلت كلها بترصيع من الياقوت الأحمر والأزرق وبالعقيق. ولألاؤها الوفير قد انعكس على حر أنفاس اسبانيا. وهي تبعث الاساطيل المؤلفة من سفن كبيرة لتشحن مما عند أنفها.

انتفولوس السرقوسي : فأين بلجيكا والأراضي المنخفضة؟

درروميو السرقوسي : آه يا سيدي! لم أنزل البصر إلى أسفل من هذا ولكن خاتمة القول يا سيدي إن هذه الخادمة أو العرّافة، لقد راحت تناديني فدعتني دروميو، وأخبرتني بعلامات خاصة بي، في أنحاء من بدني، كالعلامة التي في كتفي، والشامة السمراء على عنقي، والسنطة الكبيرة في ذراعي اليسرى، حتى دهشت، وهربت منها كما يهرب المرء من ساحرة شريرة، وأغلب الظن أني لو لم يكن صدري قد قدّ من صخر،

وقلبي من فولاذ، لمسختني كلباً مبتور الذنب
وعلقتني في الطاحون.

انتفولوس السرقوسي : هيا اذهب حالاً وأسرع إلى الميناء. فإذا هبت الريح في أي اتجاه يمكن أن ينأى بنا عن الشاطىء فإني لن أمضي هذا الليل على بر هذا الميناء، فإن عثرت على سفينة، على أهبة السفر، فعد إليّ في السوق فسأظل أسير فيها إلى أن ترجع إليّ وما دام الناس، جميعهم، يعرفوننا هنا، ونحن لا نعرف أحداً منهم، فقد آن الأوان، فيما أرى، لنحزم أمرنا، ونهيىء متاعنا ونرحل.

دروميو السرقوسي : وكما يهرب المرء بحياته من براثن الدب، فسأهرب أنا من تلك التي تبغي أن تكون زوجتي (يخرج).

انتفولوس السرقوسي : إنه لا يقطن هنا غير سحرة وساحرات، لهذا كان يجدر بي أن أرحل منذ زمن. إن هذه التي تدعوني زوجها، يكره فؤادي أن يراها زوجة لي، أما شقيقتها الجميلة ذات الظرف اللطيف الرائع، وذات اللقاء الكريم، والمنطق الآسر، فقد، تجعلني خائناً حتى ما عدت أعرف نفسي. سأصم أذني عن نغم عروس البحر،

ولكنني، خشية أن أتهم بالإساءة لنفسي.

(يدخل انجلو ومعه العقد)

انجلو : أيها السيد انتفولوس.

انتفولوس : نعم، إن هذا هو اسمي

السرقوسي

انجلو : إني أعرفه جيداً يا سيدي. انظر، هذا هو العقد، وقد كنت أعتقد أني سألحق بك في «البوربنتين»، إلاّ أن العقد لم يكن قد تم صنعه بعد، لذلك تأخرت كثيراً.

انتفولوس : وماذا تريدني أن أصنع بهذا.

السرقوسي

انجلو : ما تريد يا سيدي! إني صنعته لك.

انتفولوس : صنعته لي يا سيدي؟! أنا لم أطلبه منك.

السرقوسي

انجلو : إنك لم تطلبه مرة أو مرتين، لقد طلبته لمرات عشرين ارجع به إلى المنزل وصالح به زوجك، وسأزورك بعد قليل، ساعة العشاء لأستلم ما بذمتك لي من ثمن العقد.

انتفولوس : أرجوك يا سيدي أن تأخذ المال الآن خوفاً من

السرقوسي ألا ترى عقداً ولا مالاً.

انجلو : أنت رجل تحب الهذر يا سيدي. إلى اللقاء.

(يخرج)

انتفولوس السرقوسي : لست أدري ماذا أقول في هذا كله، ولكني على الأقل أقدر أن أقول إنه ليس من رجل يبلغ به الحمق أن يرفض عقداً بهذا الجمال إذا قدم إليه. وأكبر الظن أن المرء ليس بحاجة في هذا البلد إلى أن يحتال لمعاشه، في حين تصادفه في الشوارع مثل هذه الهدايا الذهبية. سأذهب إلى السوق حيث أنتظر دروميو هناك، فإن أقلعت سفينة أبحرت على متنها في الحال.

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(ميدان عام)

(يدخل التاجر الثاني، انجلو، شرطي)

التاجر الثاني : إنك لتعلم أن المبلغ مستحق منذ عيد الحصاد. وأنني لم ألح عليك بطلبه منذ ذلك الوقت، بل ما كنت لأفعل لولا أنني مسافر إلى فارس، وأريد المال لسفري فاقض دينك الحين، وإلا جعلت هذا الشرطي يقبض عليك.

انجلو : إن المبلغ نفسه الذي أنا مدين لك به مستحق لي عند انتفولوس. وفي اللحظة التي قابلتك فيها كان قد استلم مني عقداً. وفي الخامسة، سأقبض ثمنه نقداً فامش معي، إذا سمحت، نذهب إلى داره، فأؤدي لك التزاماتي، وأزيدك، على ذلك، شكري.

(يدخل انتفولوس الافسوسي ودروميو الافسوسي خارجين من بين الغانية)

الشرطي : ادَّخر هذا الجهد، فها هو ذا آتٍ.

انتفولوس الافسوسي : أنا ماضٍ إلى الصائغ، فاذهب أنت، في هذه الأثناء، لتبتاع لي حبلاً بأنشوطة، فسألقي به على زوجتي ومن تآمر معها وأربطهم جميعاً لإيصادهم أبواب منزلي اليوم بوجهي ولكن مهلاً، إني أرى الصائغ، اذهب انت فابتع الحبل وأحضره إليّ في المنزل.

دروميو الافسوسي : إن ابتياع الحبل اشتراكاً في الثأر ليسرني، كما يسرني كسب ألف جنيه في العام.

(يخرج)

انتفولوس الافسوسي : حقيقة، إنك لتساعد من اعتمد عليك. لقد وعدت بالعقد وبأنك ستأتي به، فلم يأتني لا عقد ولا صائغ. أكبر الظن أنك حسبت ودادنا يدوم طويلاً لو بقينا مرتبطين معاً، فلذلك لم تحضر.

انجلو : حرصاً على ألا أعكر صفو مزاجك، وهاك الحساب: وزن عقدك إلى آخر درهم، وتقرير نقاوة الذهب والصنعة المتقنة، إنه ينيف ثلاث دوقيات على ما أدين به لهذا السيد. فأرجوك أن تفعل على أن تؤدي حقه الآن فإنه سيركب البحر ولا يعوقه سوى حقه في ماله.

انتفولوس الافسوسي : ليس بحوزتي الآن مال حاضر، ثم لدي بعض الأعمال في المدينة، فخذ الغريب أيها السيد الطيب إلى منزلي وخذ معك العقد، واطلب من زوجتي المبلغ لدى استلام العقد. وقد أكون حاضراً هناك عندما تصل أنت.

انجلو : إذن، ستحضر أنت العقد إليها؟!

انتفولوس الافسوسي : كلا، خذه معك، فقد لا أصل في الوقت المناسب.

انجلو : هذا حسن يا سيدي، سأفعل. هل العقد معك؟

انتفولوس الافسوسي : إني لأرجو أن يكون معك، ما دام ليس معي وإلا فقد ترجع دون مالك.

انجلو : لا يا سيدي، كفى، أرجوك، اعطني العقد فالريح والمدّ ينتظران هذا السيد، وأنا ملوم فقد أبقيته هنا طويلاً..

انتفولوس : يا إلهي، اتريد بهذا العبث أن تعتذر عن الإخلال بموعدك في «البوربنتين»؟! كان يجب أن ألومك على أنك لم تحضر ولكنك، كأي رجل مشاكس، قد فضلت أن تباشر أنت بالمشاجرة..

التاجر الثاني : الوقت يسرقنا، أسرع، أرجوك يا سيدي.

انجلو : هل سمعت الآن كيف يلحف على ـ العقد! ـ

انتفولوس الأفسوسي : وماذا! أعطه لزوجتي واحصل على نقودك.

انجلو : كفى، كفى، أنت تعلم أنني قد أعطيتك إياه الساعة. فإما أن تبعث بالعقد أو توفدني بأمارة على أنه معك.

انتفولوس الافسوسي : أف! إنك لتتجاوز بنا في الهذر حدود طاقته. كفى؟ أين العقد، أريد أن أراه، أرجوك.

التاجر الثاني : لا يمكن لأعمالي أن تحتمل مثل هذا التعطيل فأخبرني أيها الرجل الطيب هل ستدفع لي أم لا؟! فإن كان لا، فأسلمك للشرطي.

انتفولوس الافسوسي : أنا أدفع لك؟ وماذا أدفع لك؟

انجلو : المال الذي تدين لي به، ثمناً للعقد.

انتفولوس الافسوسي : أنا لا أدين لك بثمن حتى أستلم العقد.

انجلو : أنت تعلم أنني قد أعطيته لك منذ نصف ساعة.

انتفولوس الافسوسي : إنك لم تعطني شيئاً، وأنت تجور علي كثيراً بقولك هذا.

انجلو : إنك يا سيدي تظلمني بالنكران أكثر، فانظر كيف، فالأمر يتعلق بسمعتي.

التاجر الثاني : أيها الشرطي ألقِ القبض عليه بناء على طلبي.

الشرطي : سمعاً وطاعة.

انجلو : إني آمرك، باسم الدوق، أن تطيع. إن هذا يمس سمعتي، فإما أن تقبل بدفع هذا المبلغ عني، وإما جعلت هذا الشرطي يقبض عليك.

انتفولوس الافسوسي : أقبل أن أدفع لك ثمن ما لم أستلم اقبض عليَّ إن جرؤت، أيها الرجل الأخرق.

انجلو : أيها الشرطي هاك الرسوم للقبض عليه، فكبِّله، فإني - في مثل هذا الموقف - لا أرحم حتى شقيقي إذا حدث وعرضني هكذا علناً للتشهير والتحقير.

الشرطي : إني أقبض عليك يا سيدي. هل سمعت الدعوى؟

انتفولوس الافسوسي : سأطيعك لريثما أدفع لك الكفالة. أما أنت أيها الرجل فإن هذا الهزار سيكلفك ثمناً أغلى من كل ما في متجرك من جواهر ودرر.

انجلو : سينتصف لي القانون الذي في أفسوس يا سيدي، عن تعريضك العلني بي، وإني لمتأكد من هذا.

(يدخل دروميو السرقوسي قادماً من الميناء)

دروميو السرقوسي : سيدي هناك سفينة من أبيدامنوم لا تنتظر سوى صاحبها ليصعد إليها كي تقلع راحلة. وقد نقلت كل شحنتنا إليها يا سيدي وقد ابتعت الزيت، ودهان البلسم، والخمر، والسفينة على تمام أهبتها، والرياح السعيدة تهب هبوباً مواتياً من جهة الشاطىء، والسفينة لا تنتظر شيئاً مطلقاً إطلاقاً غير قبطانها ومساعد القبطان وأنت.

انتفولوس الافسوسي : ما كل هذا، أيها الرجل المجنون؟ ما هذا أيها البهيمة الحمقاء؟ أية سفينة من أبيدامنوم تلك التي تنتظرني.

دروميو السرقوسي : تلك السفينة التي أرسلتني لأستأجر عليها مكاناً لسفرنا.

انتفولوس الافسوسي : أيها العبد المخمور، لقد أرسلتك لابتياع حبل للشنق، وأخبرتك القصد من شرائه والغرض من استعماله.

دروميو السرقوسي : هل قصدت يا سيدي، أن تشنقني بهذه السرعة فأنت قد ارسلتني إلى الخليج لأبحث لك عن سفينة مسافرة.

انتفولوس الافسوسي : سأناقش هذا الأمر في وقت أنسب، وسأعلّم أذنك كيف تستمع وتنصت إلي، وتنتبه لما أقول

انتباهاً أكثر. هيا، أيهـا الشقي، اذهب مباشـرة
إلى «أدريانا» وأعـطها هـذا المفتاح وقـل لها أن
في درج المكتب، المغطى بالمفـرش التركي،
كيس به دوقيات، قل لها أن تبعثه وأخبرْها أنهم
قـد قبضـوا عليَّ في الـطريق، وأن هـذا المـال
ليؤدي الكفالة عني. أسرع أيها العبـد! اذهب!
هيـا أيهـا الشـرطي، إلى السجن حتى تـأتيــك
الكفالة.

(يخـرج التـاجـر الثـاني وانجلو والشـرطي وانتفـولـوس
الافسوسي)

دروميو السرقوسي : إلى أدريانا؟! إن هذا حيث تناولنا طعام الغـداء
وحـيث ادعـت المـرأة أنني زوجـهـا؟ إنهـا
لأضخم ـ في ما أرجو ـ من أن أستطيع الدوران
حولها، فلن ألقى وجههـا مرة أخـرى، غير أني
سأذهب إلى هناك مكرهاً فليس على الخدم إلاّ
أن يحققوا رغبات سادتهم

(يخرج)

المشهد الثاني

(منزل انتفولوس الافسوسي تدخل أدريانا ولوسيانا)

أدريانا : آه، لوسيانا، أحقاً، قد حاول أن يغريك؟ أم أمكنك أن تعلمي هذا من التفرس في عينيه، إنه جاد في توسلاته إليك؟ نعم أم لا؟ هل كان أحمر الوجه أم باهته، هل كان حزيناً أم مرحاً؟ وعلى أية حال، هل أمكنك أن تلحظي الشهب الملتهبة في قلبه وهي تنطلق لتبان على وجهه؟....

لوسيانا : لقد أنكر، منذ البداية، أن لك أية حقوق عليه.

أدريانا : يقصد أنه لم يرع لي حقاً، يا لغيظي المتجدد منه.

لوسيانا : ثم بعد ذلك أقسم أنه غريب هنا.

أدريانا : لا ريب أنه أقسم. وإن كان حانثاً فيما أقسم.

لوسيانا : ثم تضرعت إليه من أجلك.

أدريانا : فماذا قال؟

لوسيانا : راح يسألني أن أهبه أنا الحب الذي طلبته لك منه.

أدريانا : وبماذا أراد أن يقنعك ليستميل حبك.

لوسيانا : بألفاظ مؤثرة، لو كان الطلب نبيلاً. فقد أطرى جمالي ثم حديثي . . .

أدريانا : فأجبته بالحسنى؟!

لوسيانا : اصبري، ارجوك.

أدريانا : إني لا أستطيع، بل لن أصمت، وسأدع لساني، لا قلبي، ينال منه مأربه! إنه مشوه، محني، عجوز، جاف العود، دميم الوجه، وجسمه أقبح، فليس له شكل، إنه فاجر، غليظ، أحمق، بليد الشعور، لا مروءة لديه، موصوم بالتشويه في خلقته، وبوصمة شر منها في عقله.

لوسيانا : ما دام هو كذلك، فمن تلك التي تغير على هكذا رجل؟ ومن تيك التي تبكي على ضياع الشر إذا زال.

أدريانا : آه، ولكني أعلم أنه خير مما وصفت ونعتّ وإن تمنيت أن يصبح أكثر قبحاً في عيون الأخريات فالقمرية تبتعد عن عشها ثم تصيح لتضلل الصياد. وهكذا قلبي يدعو له، وإن لعنه ودعا عليه لساني.

(يدخل دروميو السرقوسي)

دروميو السرقوسي : هيا، هلم. المنضدة، الكيس، سيدتي الكريمة أسرعي، حالاً.

لوسيانا : ما بك تلهث؟

دروميو السرقوسي : من الركض السريع.

أدريانا : أين هو سيدك يا دروميو؟ هل هو بخير؟

دروميو السرقوسي : كلا، إنه في الأعراف من السجن، أسوأ حالاً من الجحيم، يشده من كعبه شيطان في قميص لا يبلى، قد أغلق قلبه القاسي بأزرار من الصلب، عفريت من الزبانية خشن لا يرحم. ذئب، بل أكثر شراً من الذئب، رجل في قميص من الجلد، أخو خيانة، أخاذ بالكتف، مناع للتسلل في الدروب والمنحنيات ومنافذ البحر، كلب صيد يرشد إلى السجن ويشم في براعة أثر القدم، وقبل أن ينطق بالحكم يتحفظ في جحيم الحجر، على النفوس المسكينة.

أدريانا : ويحك أيها الرجل، ما الأمر؟

دروميو السرقوسي : لست أدري ما الأمر، ولكني أعلم ما رأيته وهو أنه قد قبض عليه.

أدريانا : ماذا؟ مقبوض عليه! ومن ذا الذي ادعى عليه؟

دروميو السرقوسي : لا أعلم من ادعى عليه فاعتقل بكل تأكيد، ولكني أعلم أن الذي قبض عليه يرتدي قميصاً من الجلد. فهلّا أرسلت له يا «سيدة الخلاص» ذلك المال الذي في درجه؟

أدريانا : أختي، اذهبي فاحضريها (تخرج لوسيانا) إني لأعجب كيف يكون مديناً، دون أن أعلم؟ قل لي: هل قبض عليه لأجل عقد؟

دروميو السرقوسي : لأجل عقد؟ كلا بل لأجل ما هو أخطر شأناً، لأجل عقد، عقد، ألا تسمعين رنينه.

أدريانا : ماذا؟ رنين العقد.

دروميو السرقوسي : كلا، بل الجرس. آن لي أن أسرع بالانصراف. كانت الثانية عندما تركته، وها هي ذي الساعة تدق الآن الواحدة.

أدريانا : هل سترجع الساعة؟! إني لم أسمع بهذا من قبل.

دروميو السرقوسي : أوه، نعم، إن الساعة إذا صادفت شرطياً، رجعت، من شدة الذعر، إلى الخلف.

أدريانا : وهل الزمان مدين! ما أحمق تفكيرك؟!

دروميو السرقوسي : حقاً، إن الزمان مفلس، وهو لا يدفع بتاتاً ما عليه من دين في حينه؟ بل إنه للص كذلك، ألم تسمعي الناس يقولون سرقنا الوقت،

والزمان يتسلل مولياً بـالليل والنهـار جميعاً فـإذا
كان الزمـان متهماً بـالدين وبـالسرقـة، وفاجـأه
الشرطي في الدرب أليس يحق له أن يرجع إلى
الوراء ساعة في اليوم؟

(تعود لوسيانا ومعها الكيس)

أدريانا : دروميو اذهب، هذا هو المال فـاحمله مباشـرة،
وآتِ بسيدك حالاً إلى المنـزل تعالي يـا أختي،
إنني مثقلة بـالتفكير. التفكيـر، إن فيه لـراحتي
وإن فيه لعذابي.

(يخرجون).

المشهد الثالث

(مكان عام. يدخل انتفولوس السرقوسي).

انتفولوس السرقوسي : إني لا أصادف رجلاً إلا حياني، وكأنما أنا صديقهم الحميم. فكل واحد هنا يناديني باسمي هذا يقدم لي مالاً وذاك يدعوني، ومنهم من يقدم إلي الشكر على أفضال، وآخرون يعرضون علي سلعاً لأبتاعها بل لقد دعاني الآن خياط إلى حانوته، وأطلعني على حرير ابتاعه لأجلي، وأخذ مقاسي، لكي يقص لي ثوباً، وليس هذا كله، بلا ريب سوى تخيلات باطلة منهم، فإنما هنا ديار سحرة من أرض «اللاب».

(يدخل دروميو السرقوسي)

دروميو السرقوسي : سيدي، هذا هو الذهب الذي أرسلتني في طلبه!... ماذا؟ هل تخلصت من شبيه آدم العتيق وقد ارتدى القميص للمرة الأولى؟.

انتفولوس السرقوسي : أي ذهب. ومن ذا الذي تعني بشبيه آدم هذا!

دروميو السرقوسي : أنا لم أقصد آدم الذي كان في الجنة، بل أعني آدم الذي يحرس السجن، هذا الذي يمشي

مـرتدياً جلد الخـروف الـذي افتـدي بـه الابن الضـال، هـذا الـذي أتى من خلفـك كشيـطان الشر، وأمرك أن تتخلى عن حريتك.

انتفولوس السرقوسي : أنا لا أفهمك!

دروميو السرقوسي : لا تفهمني، لماذا؟ إن الأمر لجليّ واضـح، ألا تعرف هذا الذي يمشي مغطى الرأس كالـربابـة في محفظة من الجلد، هذا الرجل، يا سيدي، الذي إذا تعب السادة يربت بيده على أكتافهم، ليـريحهم في السجن، هـذا يـا سيـدي الـــذي تـأخـذه الـرأفـة بـالهـالكين الفـــانين من البشـر فيخلدهم في السجن. الرجل الذي يراهن بكـل ما يملك لأنه قد صمم على أن يؤدي بعصاه من الأمجاد ما تتعب عنه الحربة المغربية.

انتفولوس السرقوسي : ماذا؟ هل تعني الشرطي؟

دروميو السرقوسي : أجـل، يا سيـدي، كبير المعتقلين. هـذا الذي يتقـاضى الثمن بـاهـظاً ممن نقض عهـده، إنـه رجل يخيل إليـه أن الناس، جميعهم، ذاهبـون إلى أسرّتهم فيقول لهم طيب الله راحتكم حيث لا عمل في السجن.

انتفولوس : كفى يا رجل، أرحنا بعد كل هذا من حماقتك.

السرقوسي هـل هناك الليلة سفينة مقلعة؟ وهـل يمكننا ان نسافر؟

درومیو : بالطبـع يا سيـدي، لقد عـدت إليك بـالرد منـذ

السرقوسي ساعة، وقلت إن هناك سفينة اسمهـا «السرعـة» ستقلع الليلة ولكن عندئذ وجدت الشرطي يلقي القبض عليـك كي تنتظر زورقـاً لا سفينة اسمـه «العـطلة». هاك دنـانير «المـلائكـة» هـذه التي طلبتها لتنقذك.

انتفولوس : قـد اختل عقـل الرجـل، وأنا أيضـاً قـد اختـل

السرقوسي عقلي، فها نحن أولاء نضل وسط الأوهام. فهل من قوة مباركة تخلصنا من هنا.

(تدخل الغانية).

الغانية : ما أسعد اللقاء بك، ما أسعد اللقاء بك يـا سيد انتفولوس، فهـا أنت ذا، فيما أرى، قـد عثرت على الصـائـغ. أليس هـذا العقـد هـو الـذي وعدتني به اليوم؟

انتفولوس : إبـليس انصـرف، إنـي بـاسـم الله آمـرك ألا

السرقوسي تغويني.

دروميو : أهذه هي «السيدة إبليس» يا سيدي.

السرقوسي

انتفولوس : إنها الشيطان بعينه.

السرقوسي

دروميو : لا بـل هي أكثر منـه شراً، إنهـا امـرأة الشيـطان

السرقوسي ولعنته أتت في ثياب الغواني، ومن هنا جاء قول الغـواني «رب العني» فكـأنمـا يقلن رب اجعـل مني غـانية. لقـد جاء في الكتـاب أنهن يبَـدوْنَ للبشر كملائكة من نور: ومـا دام النور من آثـار النـار، وما دامت النـار تحـرق، إذن فـالغـواني يحرقن لا تدنُ منهن.

الغانية : إنـك في حـال رائعـة من صفـو المـزاج، أنت ورجلك أتذهب معي، سنهيـىء عشاءنا هنا؟!

دروميو : توقع المصائب والويـلات يا سيـدي إن ذهبت،

السرقوسي وأوصِ، منذ الآن، على ملعقة طويلة.

انتفولوس : ولماذا يا دروميو؟

السرقوسي

دروميو : لمـاذا؟ لأن من يضـطر إلى مؤاكلة الشيـاطين

السرقوسي يحتاج إلى ملعقة طويلة.

انتفولوس : انصرفي أيتها الشيطانة! ما هذا الـذي تحدثينني

السرقوسي بـه عن العشاء؟ إنـك ساحـرة، كسائـركم هنا، كلكم سحرة، وإني باسم الله آمـرك أن تدعيني وتنصرفي عني.

الغانية : إذن اعـطني خـاتمي ذاك الـذي أخـذتـه عنـد الغـداء، أو العقد الـذي وعـدتني بـه بـدلاً من

حليتي، عندئذ أذهب يا سيدي ولا أزعجك.

دروميو السرقوسي : إن من الشياطين من لا تطلب من الإنس سوى قلامة ظفر أو عوداً من الحشائش، أو شعرة، أو قطرة دم. . . . . دبوساً، جوزة، كرزة. . . . .
أما هذه فمن جشعها تريد عقداً كاملاً، سيدي، كن عاقلاً، فلو أنك أعطيتها إياه لهزته العفريتة فأخافتنا برنين معدنه.

الغانية : أرجوك يا سيدي. إما خاتمي وإما العقد! وإني لآمل ألا تكون قد قصدت إلى أن تمكر بي هكذا!!

انتفولوس السرقوسي : امضِ أيتها الساحرة، هيا يا دروميو، دعنا نذهب.

دروميو السرقوسي : إن الطاووس يقول لأنثاه: «تصديت! هاك ظهري» لا بد أنك تعرفين هذا المثل يا سيدتي.

(يخرجان)

الغانية : لم يعد أدنى ريب في أن انتفولوس قد أصيب بمس، وإلا ما تصرف أبداً هكذا. إن لي معه خاتماً يساوي أربعين دوقية، وقد وعدني بعقد بديلاً عنه، وها هو ذا الآن ينكر الخاتم والوعد، ولا أدري لذلك سبباً غير أنه قد أصيب بمس

من الجنون وفوق هذا الدليل على جنونه هناك تلك القصة الجنونية التي قصّها اليوم على الغداء، من أن أبواب منزله كانت موصدة دونه حتى لا يدخله، ألا يمكن أن تكون زوجته وهي أدرى بنوبات جنونه، قد أوصدت الأبواب في وجهه عامدة. . . ؟ ليس عليّ الآن إلا أن أسارع إلى داره فأخبر زوجته أن المجنون، قد اقتحم منزلي وأخذ خاتمي عنوة، فهذا أسلم حل أراه. إن الأربعين دوقية أكثر من أن يدعها المرء تضيع هباء هكذا.

(تخرج)

المشهد الرابع

(طريق)

(يدخل انتفولوس الافسوسي والشرطي)

انتفولوس الافسوسي : لا تَخَفْ شيئاً من أمري يـا رجل، فلن أهـرب، بل سأعطيك قبـل أن أتركـك كل المبلغ الـذي من أجله اعتقلت، حتـى تـطمئن. إن زوجـتي اليوم معتلة المزاج، فلن تصدق بسهولـة. ذلك أن نبـأ القـبض عليّ فـي إفســوس سيبــدو ـ بالتأكيد ـ غريباً على مسامعها.

(يدخل دروميو الافسوسي ومعه حبل بأنشوطة)

ها قد عاد خادمي وأظنـه يحمل المـال. هيا يـا رجل، هل معك ما أوفدتك في طلبه.

درومیو الافسوسي : هـا هو ذا يـا سيدي وأكفـل لك أنـه سيجـزيهم جميعاً على كل ما يستحقون.

انتفولوس الافسوسي : ولكن أين المال؟

درومیو الافسوسي : كيف تسـأل هذا السؤال يـا سيدي! لقـد دفعتـه ثمناً للحبل.

انتفولوس الافسوسي : يا للشرير! خمسمائة دوقية تدفعها ثمناً لحبل.

دروميو الافسوسي : أبيعك خمسمائة يا سيدي بهذا السعر لو صح.

انتفولوس الافسوسي : ولأي غرض طلبت إليك أن تسرع إلى منزلي

دروميو الافسوسي : من أجل إحضار حبل له أنشوطة يا سيدي، وقد أجبتك إلى طلبك.

(يضربه)

انتفولوس الافسوسي : إذن سأستقبلك به.

الشرطي : اصبر أيها الرجل الطيب.

دروميو الافسوسي : إنما هو أنا الذي ينبغي أن يقال له اصبر، فأنا الذي عليه نزلت المصائب.

الشرطي : توقف عن الكلام في الحال.

دروميو الافسوسي : دعني، واجعله هو يوقف يديه.

انتفولوس الافسوسي : يا بن الفاعلة، أيها العبد البليد.

دروميو الافسوسي : ليتني كنت بليداً يا سيدي فلا أشعر بضرباتك.

انتفولوس الافسوسي : إنك لا تشعر إلا بالضرب، مثلك مثل الحمار.

دروميو الافسوسي : حقاً، إنني لحمار، وتستطيع أن تثبت ذلك، بكون أذني طويلتين لقد خدمته منذ ولدت حتى هذه اللحظة، ولم أنل، جزاء خدمتي، من يديه غير الضرب، يدفئني بالضرب، عندما أبرد وعندما أدفأ يبردني بالضرب، بالضرب يستقبلني إذا استيقظت وبه إذا نمت، وبالضرب إن وقفت وبه إذا جلست به أطرد من الأبواب إذا خرجت من المنزل وبه أستقبل إذا عدت إليه. بل أنا أحمله على أكتافي كما تحمل السائلة طفلها، وأعتقد أنه إن أدى بي الضرب إلى العرج يوماً فسأشحذ بعرجي من باب إلى باب.

انتفولوس الافسوسي : هيا بنا فهذه زوجتي قادمة من هناك.

(تدخل أدريانا ولوسيانا والغانية وبينش)

دروميو الافسوسي : خذي حذرك يا سيدتي، فقد دنت نهايتك. إنني أتنبأ كالببغاء: «احذري أنشوطة الحبل».

انتفولوس الافسوسي : أما برحت تتكلم؟

(يضربه)

الغانية : ما رأيك الآن؟ أليس زوجك مجنوناً؟

أدريانا : إن وقاحته تثبت هذا بل مـا هو أكثـر. «بينش»، أيهـا الحكيم الـطيب، أنت قـادر على طـرد الجنان والعفاريت فأعده إلى صـوابه من جـديد أعطك ما تريد بل كل ما تطلب.

لوسيانا : واأسفاه، يا لنظرته الحادة المشتعلة.

الغانية : انظري كيف يرتعش من جنونه.

بينش : هاتِ يدك ودعني أجس نبضك!

انتفولوس الافسوسي : خذ هذي يدي ودعها تنزل على أذنك.

(يضربه).

بينش : أستحلفك أيها الشيطان الكامن في هذا الرجـل أن تنـزل لصلواتي المقدسـة عمـا ملكت، وأن تنصـرف سـريعـاً إلى أرضـك المـظلمـة إني لأستحلفك بكل من في السماء من قديسين.

انتفولوس الافسوسي : اخرس أيها الساحر الخرف، اخرس، أنـا لست مجنوناً

أدريانا : آه لـو كـان مـا تقـولـه، حقيقـة أيهـا المسكين المعذب.

انتفولوس الافسوسي : أنت، يا سيدة، أهؤلاء معارفك؟ أهـذا الرجـل ذو الوجه المزعفر هـو الذي كـان يلهو ويـولم له اليـوم في منـزلي، على حين تـوصـد الأبـواب

المخفية للشر بوجهي، وأمنع من الدخول إلى منزلي.

أدريانا : يا زوجي، يعلم الله أنك قد تناولت طعام الغداء في المنزل حيث كان ينبغي أن تبقى إلى الآن؟ بعيداً عن هذه الأقاويل وهذا الخزي المفضوح.

انتفولوس الافسوسي : أنا، تناولت طعام الغداء في المنزل؟! أنت يا عبد، يا شرير، ما تقول في هذا؟

درومبو الافسوسي : الحق يقال يا سيدي، أنك لم تتناول طعام الغداء في المنزل

انتفولوس الافسوسي : ألم تكن أبوابي موصدة فلم أتمكن من الدخول؟

درومبو الافسوسي : والله العظيم، كانت أبوابك موصدة ولم تتمكن من الدخول.

انتفولوس الافسوسي : وهي، ألم تشتمني بنفسها من خلف الباب؟

درومبو الافسوسي : الحق، أنها شتمتك بنفسها هناك.

انتفولوس الافسوسي : وخادمة مطبخها، ألم تستخف بي وتعيرني وتسخر مني؟

درومیو الافسوسي : بلا أدنى شك، هزأت بك «حاكمة» المطبخ.

انتفولوس الافسوسي : ألم أنصرف من هناك مغتاظاً حانقاً؟

درومیو الافسوسي : في الحقيقة، قد فعلت وعلى ذلك تشهد عظامي فلقد ظلت منذ ذلك الحين تعاني وطأة حنقه.

أدريانا : أمن الخير مجاراته في هذه الأكاذيب المتناقضة؟

بينش : نعم من الخير. لقد عرف هذا الفتى طبعه، وطواعيته له تقف من حدة جنونه.

انتفولوس الافسوسي : هي أنت تلك التي حرَّضت الصائغ كي يقبض علي.

أدريانا : واأسفي، قد أرسلت لك مالاً ينقذك مع درومیو هذا الذي أتى يطلبه متسرعاً.

درومیو الافسوسي : مال! معي قولي أماني أو نوايا طيبة! ولكنها بلا ريب يا سيدي لم ترسل معي ولا فلساً ممسوحاً واحداً.

انتفولوس الافسوسي : ألم تذهب إليها لتجلب كيساً من الدوقيات؟

أدريانا : أتى إلي وأعطيته إياه.

لوسيانا : إني أشهد، لقد فعلت.

درومیو الافسوسي : فليشهد ربي إذن وصانع الحبال، على أني ما أرسلتُ إلا في طلب حبل.

بينش : إن أرواح الشياطين. يا سيدتي، قد تقمصت الخادم وسيده جميعاً إن وجهيهما الشاحبين كالأموات لينبئاني بذلك.

انتفولوس الافسوسي : قولي، لماذا أوصدت اليوم الباب بوجهي، ولم أنكرت كيس الذهب؟

أدريانا : أنا لم أوصد الباب بوجهك يا زوجي العزيز.

درومیو الافسوسي : وأنا لم أستلم ذهباً يا سيدي العزيز. وإن كنت أقر وأعترف بأننا قد تركنا وقد أوصدت الأبواب بوجهنا.

أدريانا : أيها الماكر الشرير، قد كذبت في الحالين.

انتفولوس الافسوسي : يا فاجرة، يا خادعة، أنت الكاذبة في كل شيء لقد تآمرت، مع حفنة ملعونة، على أن تجعلوا مني هزأة دنيئة بغيضة، ولكنني بهذه الأظافر سأقتلع هاتين العينين الخادعتين، اللتين تمنيتا أن تراني في هذا الموقف الزري.

(يدخل ثلاثة رجال أو أربعة، ويتقدمون ليقيدوه ولكنه يقاوم)

أدريانا : أوثقوه، اربطوه، أبعدوه عني.

بينش : تكاثروا عليه، فالشيطان الذي تقمصه قوي.

لوسيانا : ويحي! يا للرجل البائس كم يبدو شاحباً باهتاً!.

انتفولوس الافسوسي : ماذا؟ أتريدون قتلي؟ أيها الشرطي، أنت، أتدعهم - وأنا سجينك - ينتشلونني منك؟

الشرطي : كفوا عنه، أيها السادة، إنه سجيني فلن تأخذوه

بينش : كبّلوا هذا الرجل، فإنه مجنون أيضاً.

(يحاولون أن يقيدوا دروميو)

أدريانا : ما تريد أن تصنع أيها الشرطي المتعنت؟ أيسرك أن تشاهد رجلاً تعساً بائساً يأتي بالسوء على نفسه ويجر عليها الألم؟

الشرطي : إنه سجيني، فإن تركته يذهب طولبت أنا بالدين الذي عليه.

أدريانا : سأدفع لك المال المطلوب كله قبل أن ننصرف عنك فخذني الآن إلى دائنه فإذا عرفتُ كيف حدث وصار هذا الدين، دفعته إليك كاملاً، وأنت أيها الحكيم الطيب احرص على أن ينقلوه آمناً، إلى منزلي ما أتعس هذا اليوم!

انتفولوس الافسوسي : أيتها الغانية التعسة.

دروميو الافسوسي : قد كبّلوني من أجلك يا سيدي

انتفولوس الافسوسي : عليك اللعنة، أيها الشرير، لماذا تجعلني أجن.

دروميو الافسوسي : أدون سبب؟ كُبّلت أنت يا سيدي فليصبك الجنون أيها السيد الطيب واصرخ: «الشيطان» «الشيطان».

لوسيانا : كان الله في عون هذين المسكينين، كيف يهذيان: في حديثهما!

أدريانا : خذوه من هنا، هيا. تعالي معي أنت يا أختي.

(يخرجون إلا أدريانا ولوسيانا والشرطي والغانية)

أخبرني الآن، من الذي اتهمه فألقيت القبض عليه؟

الشرطي : شخص يدعى أنجلو، صائغ، هل تعرفينه؟

أدريانا : أجل أعرف الرجل. بكم هو مدين له؟

الشرطي : مائتي دوقية.

أدريانا : أخبرني بم استحق هذا الدين؟

الشرطي : هو ثمن عقد أخذه منه زوجك.

أدريانا : لقد أوصى على عقد لي حقاً ولكنه لم يستلمه

الغانية : اليوم كان زوجك ثائراً كل الثورة ثم جاء إلى منزلي فأخذ خاتمي.

(الخاتم الذي رأيته الآن في اصبعه)

والتقيت بـه، بعد ذلـك، مباشـرة فكـان العقـد معه.

أدريانا : هـذا جائـز، ولكنيّ لم أره. هلم أيها الشـرطي وخـذني إلى الصـائـغ، فـإني متحـرقـة إلى أن اسمع حقيقة ما جرى بالتفصيل.

(يدخل انتفـولـوس السـرقـوسي ودروميـو السـرقـوسي وسيفاهما مشرعان)

لوسيانا : يـا إلهي، أنـزل علينـا رحمتـك، إنهمـا حـرّان طليقـان من جـديـد، بـل ومعهمـا سيفـان مسلولان، هيا فلنطلب المزيد من النجدة، كي يوضعا في القيد من جديد.

الشرطي : اهربوا سيقتلاننا.

(يخـرجون جميعـاً إلا انتفولـوس السـرقـوسي ودروميـو السرقوسي).

انتفولوس السرقوسي : فيما يبدو فإن اولئك السحرة يخافون السيوف.

دروميو السرقوسي : وتلك التي كـانت تريـد أن تكون زوجتـك تفـر منك الآن.

انتفولوس السرقوسي : هيـا إلى «السنتور» نـأتي بمتاعنـا من هناك فكم تمنيت لـو كنـا الآن سـالمين آمنين على متن السفينة

دروميو السرقوسي : ولم لا نبقى هنا الليلة، فلا ريب أنهم لن يصيبونا بأذى، ألا تراهم يحدثوننا بلطف، ويعطوننا ذهباً. أعتقد أنهم شعب كريم جواد ولولا أن هذا الجبل من اللحم الهائج يدعي عليَّ بالزواج لوجدت في نفسي الرغبة في أن أبقى هنا مدة أطول وأن أستحيل ساحراً مثلهم.

انتفولوس السرقوسي : أما أنا فلن أبقى الليلة، وإن أُعطيتُ المدينة بأكملها. هيا ننقل متاعنا اذن إلى متن السفينة

(يخرجان)

المشهد الأول

(شارع أمام دير)

(يدخل التاجر الثاني وانجلو)

انجلو : أنا آسف يا سيدي لأنني أخرتك، ولكنني أقسم لك أنه قد أخذ مني العقد وإن أنكر، لفرط خيانته، أنه أخذه.

التاجر الثاني: كيف ينظرون إلى هذا الرجل؟ هنا في المدينة.

انجلو : بعين الاعتبار، على أنه صاحب سمعة طيبة يا سيدي، بل لا حد للثقة به، إنه محبوب جداً لا أحد يفضله بالمدينة هنا، إن كلمته مضمونة في أي وقت أضمنها بثروتي كلها.

التاجر الثاني : اخفض صوتك فهو القادم فيما أظن.

(يدخل انتفولوس السرقوسي ودروميو السرقوسي)

انجلو : صحيح، وذات العقد حول عنقه الذي أنكره نكراناً فظيعاً. هيا ادنُ مني أيها السيد الطيب فسأكلمه أنا في غاية العجب، يا سيد انتفولوس كونك قد رضيت أن تسلمني لهذا الخزي والحرج، لأنك - دون أن يخلو هذا من فضيحة

لـك أنت ايضـاً ـ قـد أقسمت وأنكـرت إنكـاراً قاطعاً أنك استلمت هذا العقد الذي تلبسه الآن علناً. فإنك، إلى جانب هـذا الاتهام والخـزي والحبس، قد أسأت إلى صـديقي الأمين. هذا الذي لولا علاقته بهذا الخلاف الذي بيننا لكان قد أقلع اليوم وأبحـر. هذا العقـد أخذتـه مني. أتستطيع إنكار هذا؟

انتفولوس السرقوسي : أعتقد أني أخذته، ولم أنكر هذا البتة.

التاجر الثاني : بلى، قـد فعلت يا سيـدي، بل أقسمت حانثـاً على ذلك.

انتفولوس السرقوسي : ومن سمعني أنكـر هـذا، أو أقسم كـذبـاً على ذلك.

التاجر الثاني : أذناي هاتـان، كما تعلم، سمعتـاك تقسم على ذلـك ويحـك أيهـا الشقي، من المؤسف حقـاً أنـك ما زلت حيـاً تسعى حيث يسعى أي رجل شريف من القوم.

انتفولوس السرقوسي : ما أحقرك إذ تتهمني هكذا وتعرّض بي سـأبرهن لـك عن شـرفي وأمـانتي، قف أمـامي الآن، واصمد إن استطعت.

التاجر الثاني : بل أستطيع وأتحداك أيها النذل.

(يسحبان سيفهما)

(تدخل أدريانا ولوسيانا والغانية وغيرهن)

أدريانا : توقف، بالله، لا تؤذه، إنه مجنون، ضيقوا الخناق عليه وخذوا السيف منه كبّلوا دروميو أيضاً وخذوهما إلى منزلي

دروميو السرقوسي : اركض يا سيدي، بالله اركض، والجأ إلى أي مخبأ، هذا دير، فادخل وإلا قضي علينا.

(يخرج انتفولوس السرقوسي ودروميو السرقوسي داخلين الدير)

(تدخل السيدة الأم مسؤولة الدير)

مسؤولة الدير «الأم» : اهدؤوا أيها الناس، فيم تدافعكم هنا.

أدريانا : لنخرج زوجي المجنون المسكين، دعينا ندخل حيث نكبّله بسرعة، ونحمله إلى المنزل حيث نعالجه.

انجلو : لقد قدرت انه ليس في تمام إدراكه.

التاجر الثاني : كم آسف على أني سللت عليه سيفي.

مسؤولة الدير «الأم» : منذ متى أصيب الرجل بالجنون؟

أدريانا : كان هذا الأسبوع مثقلاً بـالهم مغمومـاً حزينـاً، متغيراً جداً، جداً، عن الرجـل الذي كـانه من قبـل ولكنه حتى عصـر هذا النهـار، لم يبلغ بـه الانفعال أبداً حد الهياج الشديد.

مسؤولة الدير : هل أفقدته ثورة اليم ثروة كبيرة؟ أم دفن صـديقاً عـزيزاً، أم أن عينـه قـد أضلت هـواه في غـرام محـرم؟ إنها خـطيئة شـائعة بين الشبـاب الذين يفلتون الزمام لمقلهم، فيتطلعون حيثما شـاءت دون حرج. فلأي من هذه المحن قد تعرض؟

أدريانا : ولا لـواحـدة منهـا، إلا أن تكـون هـذه الأخيـرة أعني أن حبـاً مـا، كثيـراً مـا كـان يشغله عن المنزل.

مسؤولة الدير : كان عليك أن تلوميه على ذلك.

أدريانا : لقد فعلت.

مسؤولة الدير : إذن لم تقسي عليه بما في الكفاية.

أدريانا : أنبّته بقدر ما يسمح به خجلي وحيائي.

مسؤولة الدير «الأم» : وكان هذا في خلوة، إذن.

أدريانا : بل على ملأ من الناس، أيضاً.

مسؤولة : أجل، ولكن ليس بما فيه الكفاية.
الدير «الأم»

أدريانا : كان ذلك دوماً موضوع كلامنا، فما رقد على سريره من إلحاحي عليه، وما أكل على مائدة من ملاحقتي له، وكان هذا موضوع كلامي معه إذا ما كنا بمفردنا، وما أكثر ما ألححت له إذا كنا في رفقة، لقد قلت له في كل مرة إن هذا عيب وحطة منه.

مسؤولة الدير : لهذا إذن قد جن الرجل. فإن صراخ المرأة التي سممتها الغيرة لأشد سماً من ناب كلب مسعور. إن شتائمك قد منعت عنه النوم فيما يبدو. لذلك خف عقله. ولقد قلت إن طعامه كان مطعماً بتأنيبك وتعريضك به. والوجبات الصاخبة تسبب سوء الهضم، ومن هذا تولدت نيران الحمى المتأججة فما الحمى سوى نوبة من جنون. ثم تقولين إن تأنيبك له قد قطع عليه مرحه، فأي سوء ينجم إذا ما حرم المرء التسلية المرحة إلا «السويداء» الكئيبة الثقيلة المتقلبة، إنها أخت القنوط القاسي الممض، ثم يأتي في آثارها حشد ضخم يعدي، حشد من أسقام شاحبة ومن أعداء للعيش فالأكل واللعب

والـــراحــة التي تـحفظ الـحيــاة، إذا حــدث واضــطربت جن الانســان، بـل الحيـوان أيضـاً يصاب بالمس والنتيجـة هي أن نوبـات غيرتـك قـد أطاحت بمـا عند زوجـك من نعمـة العقـل وفضيلته.

لوسيانا : ولكنها ما أنبتـه قط إلا في رفق، بل مـا أنبته إلا حين تبـذل في خشـونـة وقحـة وتــوحش. لم تحتملين هذا اللوم والتعدي دون أن تجيبي؟

أدريانا : لقــد دفعتني لكي ألــوم نفسي. أيـهــا القــوم الكرام، ادخلوا خذوه واقبضوا عليه.

مسؤولة الدير : كلا، لن يدخل ديري أحد.

أدريانا : إذن نادي خدمك ليحضروه هنا.

مسؤولة الدير : كلا، ولا هذا أيضاً لقد لجأ إلى هذا المكـان. وهــذا المكان سينقـذه من يديـك، إلى أن أعيد إليه رشده أو تفشل محاولتي في ذلك.

أدريانا : وأنا بمفردي سأرعى زوجي وأعالجه،وأهيىء له الـطعـام في سقمـه فـإن هـذا هـو واجبي، ولن أرضى بـأن تقـوم عني بـديلة بهـذا الــواجب، فدعيني آخذه معي إلى المنزل.

مسؤولة الدير : صبراً، فلن أدعه ينتقل قيد أنملة، حتى استنفذ ما لدي من وسائل مجربة ـ بالشراب الشافي، والأدوية والصلوات المقدسة. لأعيده شخصاً سوياً من جديد. فهذا فرع من القسم الذي أقسمته بل جزء منه، إنه واجبي الخيري الذي أقوم به تجاه طائفتي وعلى ذلك انصرفي ودعيه هنا معي.

أدريانا : لن أغادر هذا المكان وأترك زوجي، ولا يليق بما لك من قداسة أن تفرقي بين الزوج وزوجته.

مسؤولة الدير : اصمتي واذهبي فلن تأخذيه.

(تخرج)

لوسيانا : نشكو للدوق هذه المعاملة السيئة.

أدريانا : تعالي، هيا نذهب، فسأجثو عند قدميه ولن أقوم إلا إذا ظفرت عبراتي وصلواتي بموافقته على أن يأتي بنفسه إلى هنا، فيأخذ لي زوجي من «الأم» مسؤولة الدير غصباً.

التاجر الثاني : فيما أعتقد أن الساعة تشير الآن إلى الساعة الخامسة، وإنني على يقين أن الدوق سرعان ما يمر شخصياً من هنا، في سبيله إلى وادي الأحزان، وادي الموت والإعدام المرعب

الحزين خلف دهاليز هذا الدير.

انجلو : وفيم مجيئه؟

التاجر الثاني : ليحضر إعدام تاجر جليل من سرقوسة، نزل، لسوء حظه، هذا الخليج، مخالفاً بذلك قوانين المدينة ولوائحها، فقرروا قطع رأسه علناً جزاء ما ارتكب.

انجلو : انظر، ما هم قادمون، سنشهد موته.

لوسيانا : اركعي امام الدوق قبل ان يعبر الدير.

(يدخل الدوق وحاشيته، وإيجون وهو عاري الرأس ومعه السياف وضباط آخرون)

الدوق : من جديد، أعلنوا على الملأ مرة أخرى، لو كان صديق هناك يدفع عنه المبلغ فلن يعدم، إننا نرفق به إلى هذا الحد.

أدريانا : أيها الدوق النبيل، انصفني من مسؤولة الدير.

الدوق : إنها راهبة فاضلة محترمة ولا يمكن أن تكون قد أساءت اليك.

أدريانا : أتسمح لي سموكم في الكلام، إن زوجي انتفولوس الذي جعلته مسؤولاً عن نفسي، وعلى كل ما أملك، بناء على رغبتكم السامية، في هذا اليوم المشؤوم أصابته نوبة من الجنون الحاد العنيف، فراح يجري يائساً في

الطرقات، ومعه عبده الذي لا ينقصه جنوناً، ومضى يسيء إلى أهل البلد، فاقتحم بيوتهم ونهب منها خواتم وحلياً وكل ما كان يعجبه في جنونه فلما تمكنت من أن أكبّله بعثت به إلى المنزل ومضيت لأصلح الأخطاء التي ارتكبها بجنونه هنا وهناك، ولكنه هرب منذ برهة، ولست أدري كيف تمكن من أن ينجو ممن كانوا يحرسونه، وإذا هو وخادمه المجنون في سورة من الغضب، وفي يد كل منهما سيف مسلول يلتقيان بنا من جديد، فحملا بجنون علينا وطاردانا، حتى طلبنا مزيداً من المساعدة وعدنا فكبّلناهما من جديد، غير أنهما فرّا إلى داخل الدير، ولما لحقنا بهم إلى هناك أوصدت الأم دوننا الأبواب، ولم تأذن لنا أن ندخل كي نخرجهما، ولم تقبل أن تخرجهما لنا، فنحملهما من هنا فمر أنت، أيها الدوق النبيل، أن يُخرجا إلى هنا، وأن يحملا من هنا لنتولى إسعافهما.

الدوق : كثيراً ما خدمني زوجك في حروبي، وقد وعدتك وعداً كريماً شريفاً، إذا اتخذته زوجاً وبعلاً، أن أقوم بكل ما أستطيع من فضل

وخيـر. فليذهب أحـدكم باب الـدير وليـطرقه، وليـطلب من السيدة «الأم» أن تخـرج إليّ فإنني سأنهي هذا الأمر قبل أن أتحرك.

(يدخل خادم)

الخادم : سيدتي، سيدتي، تسللي وخلّصي نفسـك، إن أغلال زوجك وعبده قد حلت فضربا الخادمات واحدة واحدة، ثم كبّـلا الطبيب وأحـرقا لحيتـه بعيـدان مشتعلة. وعندمـا سرى اللهب فيهمـا، ألقيا عليه سطلاً كبيراً به وحل وسخ حتى تخمد نيران الشعر. وبينما كان سيدي يوصيه بالصبر، كـان خـادمـه يحلق لـه بـالمقص كمـا يحلق المجنـون. ولا ريب أنـك إن لم تـرسلي الآن نجدة سريعة، فسيشتركـان في قتل طـارد الجن والعفاريت.

أدريانا : أصمت أيهـا الأحمق، إن سيـدك ورجله هنـا، وهذا الذي تحدث به الآن كذب.

الخادم : أقسم بحياتي يا سيدتي إنني أقول لك الحقيقة، بل إنني لم أكد أسترد نفسي منذ أبصـرت هذا، فهو يكد في البحث عنـك صارخـاً، ويقسم أنه إن أمسـك بـك فسيمـزق وجهـك ويشـوهـك.

(صيحـة من الـداخـل) اسمعي، اسمعي، إني

أسمعه يا سيدتي، طيري، اذهبي.

الدوق : تعـالي، قفي إلى جـانبي ولا تخـافي شيئـاً، احرسوها بالحراب.

أدريانا : يا لي، إنه زوجي، اشهـدوا جميعاً. إنـه يتنقل خفيـة. ألـم نشـاهـده الآن، الحين ليس غيـر، يدخل الدير هنا. وها هو ذا الآن. هذا أمر فوق إدراك البشر.

(يدخل انتفولوس الافسوسي ودروميو الافسوسي)

انتفولوس الافسوسي : الإنصاف والعدل، يـا أنبل دوق، إنني أسـألك العدل. ولو من أجل هذه الخدمة التي أسـديتها إليك قديماً، عندما قاتلت دونك في الحروب، وأصبت بالطعنات الغائرة لأنقذ حياتك. بل من أجل الدم الذي فقدته حينذاك من أجلك.

ايجون : إن لم أكن أخـرف من هلع المـوت فـإن هـذا الذي أراه ابني انتفولوس، وهذا دروميو.

انتفولوس الافسوسي : أيهـا الأميـر النبيـل، بـالعـدل انصفني من تلك المرأة التي قدمتها لي لتكون زوجتي، فأضاعت شـرفي وأساءت إليّ شـر إسـاءة وأكبـرهـا. إنـه ليفـوق التصور، هـذا الجرم الـذي اقترفتـه في حقي اليوم، بلا حرج.

الدوق : بيِّن لنا كيف، فستجدني منصفاً عادلاً.

انتفولوس الافسوسي : لقد أوصدت اليوم الأبواب في وجهي، أيها السدوق العظيم، وراحت تولم للفساق في منزلي.

الدوق : إنه لجرم شنيع، قولي يا امرأة هل فعلت ذلك؟

أدريانا : كلا يا سيدي الطيب، فأنا وهو وشقيقتي قد تناولنا طعام الغداء اليوم سوية. ولتنزل علي مصائب الزمان إن لم يكن ما اتهمني به كذباً ورياء.

لوسيانا : لا رأت عيني ضوء النهار ولا ذاقت راحة النوم بالليل إذا لم يكن ما قالته لسموكم هو الحقيقة البيِّنة.

انجلو : يا للنسوة الخائنات، قد أقسمت كلتاهما بالباطل، فقد صدق المجنون فيما اتهمهما به.

انتفولوس الأفسوسي : مولاي، إني واعٍ لما أقوله لك كل الوعي. فلم يدر رأسي من أثر الخمر، ولا فقدت أعصابي من غضب هائج فأكون مغتاظاً مستثاراً، وإن كان ما تحملته من إساءة تدفع بمن هو أكثر مني عقلاً إلى الجنون، إن هذه المرأة قد منعتني اليوم من دخول منزلي لتناول طعام الغداء، فإذا لم يكن هذا الصائغ متآمراً معها، فإنه سيشهد بذلك. لقد كان برفقتي حينئذ ثم ذهبنا ليحضر

عقـداً وعدني أن يجلبـه إلي في «البـوربنتين»، وهناك تناولنـا طعام الغـداء أنا ويـالتزار سـوية، فلما فرغنا من الطعام، ولم يكن الصائغ قد قدم بعـد، ذهبت لأبحث عنه فـوجدتـه في الـطريق وهذا السيد برفقته، فـأقسم زوراً، هذا الصـائغ الأفّـاك، أنني استلمت اليوم منـه عقداً. ويعلم الله إني لم أره. إلاّ أنـه لأجـل هـذا جـعـل الشـرطي يقبض عليَّ. ولقد رضخت فـأرسلت خـادمي للمنزل ليحضـر مبلغاً من الـدوقيـات، ولكنه رجع وليس معه منها شيء. عندئذ طلبت من الشـرطي، بـأدب، أن يصحبني بنفسـه إلى المنزل. . . وفي الطريق قابلنا زوجتي وشقيقتها ومعهمـا شـرذمـة، من سفلة المتـآمـرين وفيهم شخص أحضروه يسمى بينش، هو وغد له وجه جـائع عتيق كـأنه جثـة من المشرحـة، مهـرج، مشعـوذ رث الثيـاب، يـرجم بـالغيب، معـوذ، تعس قد غارت مقلتـاه وتحدجت نـظراته، ميت حي، هـذا العبـد الـزنيم، الـذي يـدَّعي انـه عـرّاف، فيحملق في عيوني ويجس نبضي، ثم يجـابهني متحـديـاً وجهي، وهـو لا وجـه لـه، ويصيـح بأعلى صـوته أنني مجنـون. فتجمعـوا

جميعــاً ووقعــوا علي، وكبّلوني وحملوني من هنــاك، ووضعــوني في قبــو رطب مــظلم في المنزل، وتركونا فيه، أنا ورجلي مقيـدين معاً. فلمـا قرضت أغـلالي بأسنـاني وحللتها مقـطعة استعـدت حريتي، وسـرعان مـا ركضت أعـدو لسمــوكم، لأضــرع إليكم أن تقتص لي بـمــا يعـوضني تعـويضـاً كـامـلاً، عمـا لحق بي من الإهانات البالغة والعار المهين.

إنجلو : مولاي في الحقيقة، أني لا أشهـد معه إلا على أنــه لم يتنـاول طعــام الغـداء في المنــزل وأن الأبواب قد أوصدت في وجهه.

الدوق : ولكن هل أخذ منك هذا العقد أو لا؟

انجلو : أخذه يا مولاي، ولما جاء يجري إلى هنا أبصره هؤلاء الناس والعقد حول عنقه.

التاجر الثاني : وأنـا أيضاً أقسم بـأنني قد سمعتـك بأذني هـذه تعترف بأنك أخذت العقد منه، بعـد أن أنكرت هذا أول الأمر في السوق، ولهذا سللت عليـك السيف فهربت أنت إلى هنا، داخـل هذا الـدير الذي خرجت منه الآن بمعجزة فيما أعتقد.

انتفولوس الافسوسي : لم يحصل قط أني دخلت بين جدران هذا الدير ولـم تشهر علي سيفك يوماً. ولم أشـاهد العقـد

مطلقاً. يـا رحمة السمـاء انزلي علي، إن هـذا الذي تتهمني به كذب.

الدوق : يا لهذه القضية المعقدة؟ إني أرى أنكم جميعـاً قد شربتم كـأس «سرسي» السـاحرة فـاستحلتم خنازير، فـإذا كان قـد دخل أمـامكم هنا، فهنـا يجب أن يكون. وإذا كان مجنـوناً فكيف يبسط شكواه بكل هذا السكون الهادىء. إنك تقولين إنـه قـد تنـاول طعـام الغـداء في المنـزل وهـذا الصائغ ينكـر هذا القـول، وأنت يا رجـل، ماذا تقول؟

درومیو الافسوسي : إن سيـدي قد تنـاول طعام الغـداء مع هـذه في «البوربنتين».

الغانية : نعم لقد فعل، ونزع هذا الخاتم من اصبعي.

انتفولوس الافسوسي : صحيح يا مولاي، وهذا هو الخاتم الذي أخذته منها.

الدوق : وهل شاهدته يدخل هذا الدير؟

الغانية : يقيناً يا مولاي. كما أشاهد سموكم الآن.

الدوق : هذا عجيب حقاً هيـا نادِ الأم إلينـا، فأنـا اعتقد أنكم قد خلطتم جميعاً أو جننتم جنوناً مؤكداً.

(يخرج أحدهم إلى الأم)

ايجون : أتأذن لي، أيها الدوق الأعظم، أن أتكلم كلمـة

واحدة. فقد يكون هذا الـذي أراه صديقـاً ينقذ حيـاتي ويـدفـع المبلغ الـذي يخلصني من الإعدام.

الدوق : تكلم قل ما تريد بحرية أيها السرقوسي.

ايجون : أليس اسمك انتفولـوس يا سيـدي؟ وأليس هذا هو عبدك دروميو؟

دروميو الافسوسي : كنت يـا سيدي، قبـل هذه السـاعة، قيـد يمينه ولكنـه قـرض حبلي وفـكّ أغـلالي قـطعتين فله الشكر وهأنذا الآن دروميو، خـادمه حـراً، دون قيد.

ايجون : أنا واثق أنكما تذكراني جميعاً.

دروميو الافسوسي : إنك يا سيدي لتذكرنا بأنفسنا. فقد كنا منذ حين مكبّلين مثلما أنت الآن مقيد ألست من مـرضى «بينش» يا سيدي، أليس كذلك؟.

ايجون : لماذا تنظر إليّ وكأنني شخص غريب عنك؟

انتفولوس الافسوسي : إني لم أرك في حياتي قط غير الآن.

ايجون : نعم، قـد غيّـرني الحـزن والأسى منـذ آخـر مـرة شاهـدتني فيها، فـإن السـاعـات المفعمـة بالغم ويد الزمان الشائهة الممسـوخة قـد خطتـا على وجهي سمـات غريبـة مشوهـة. ولكن قل

لي، ألا تعرف، مع ذلك، صوتي.

انتفولوس : كلا، ولا هذا.

الافسوسي

ايجون : ولا أنت يا دروميو.

دروميو : كلا يا سيدي، ولا أنا، أؤكد لك.

الافسوسي

ايجون : اني واثق من أنك تعرفه.

دروميو : أي يا سيدي أنا متأكد أنني لا أعرفه، وإن أنكر

الافسوسي امرؤ شيئاً فأنت الآن مقيد بتصديقه.

ايجون : انه لا يعرف صوتي! إيه يا لخاتمة العمر، هل تعب لساني الضعيف وثقل إلى هذا الحد، حتى أن ولدي الوحيد، خلال سبع سنوات قصار، لم يعد يعرف نبرة صوتي الذي ضعف من وطأة الأحزان والهموم الشاذة التي صادفتها. وإن كان وجهي المغضن قد اختفى الآن، تحت وابل من جليد الشتاء الذي امتص رونقه حتى تجمد الدم في عروقي كلها، فما زال في ظلام الحياة بعض القدرة على التذكر، وما زال في سراجي المتلاشي بعض الوهج الذابل، وفي أذني الصماء الثقيلة بقية من قوة لأن تسمع. ولا يمكن أن أخطىء أن كل هذه

الشهود على شيخوختها كلها تشهد بأنك ولدي انتفولوس.

انتفولوس الافسوسي : أنا لم أر والدي في حياتي قط.

ايجون : كيف!... إننا منذ سنين سبع، قد افترقنا كما تعرف، في خليج سرقوسة، ولكن قد تكون خجلاً يا ولدي من أن تعترف بي، وأنا في هذه الحال من الفقر.

انتفولوس الافسوسي : إن الدوق، وكل من يعرفني في المدينة، يستطيع أن يشهد معي أن الحقيقة غير ذلك فأنا لم أر سرقوسة طيلة حياتي البتة.

الدوق : أؤكد لك أيها السرقوسي، أنه منذ عشرين عاماً وانتفولوس في حاشيتي، وهو لم ير خلالها سرقوسة البتة. وأظن أن شيخوختك ومخاوفك جعلتك تخرف.

(تعود الأم ومعها انتفولوس السرقوسي ودروميو السرقوسي).

مسؤولة الدير : انظر أيها الدوق العظيم، هذا الرجل قد أسيء إليه كثيراً.

(يجتمعون جميعاً لينظروا اليه).

أدريانا : هل زوجي أرى أم تخدعني عيناي؟

الدوق : واحـد من هذين الـرجلين هو عفـريت الآخـر، وهذان كذلك؟ فأيهما الإنسي وأيهما الجني يـا ترى؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بينهما؟

درروميو السرقوسي : إنه أنا، يا سيدي، هو دروميو، اصرفه بعيداً.

دروميو السرقوسي : أنا يا سيدي، أنا دروميو، بالله دعني ابقَ.

انتفولوس السرقوسي : ألست ايجـون؟ إن لم تكن هـو فـأنت حتمـاً طيفه.

دروميو السرقوسي : ماذا! سيدي الكبير، من ذا الذي كبَّله هنا؟

مسؤولة الدير : سـأفك قيـوده أيا كـان من قيده. وسـأعيـده إلى منـزله زوجـاً إذا ما استعـاد حريتـه. قـل، أيهـا الشيخ ايجون، هل أنت هو الرجل الـذي كانت لـه زوجـة تسمى اميليـا، حملت لـك في بـطن واحـد ولدين جميلين؟ بـالله، لـو أنـك ايجـون هذا، قل تكلم إلى اميليا نفسها.

ايجون : إن لم أكن أحلم فـأنت هي اميليـا، وأخبريني، إن كنتها، أين الابن، الذي طفا معك على لوح الخشب ذاك، الذي أرسله القدر.

مسؤولة الدير : أتى رجال من «أبيدامنوم» فانتشلونا، أنا وإياه، ومعنا درواميو التوأم، ولكن لم يمض غير وقت قليل حتى جاءت جماعة جلفة من صيادي «كورنث» فانتزعوا مني ابني ودروميو، وتركوني أنا مع أهل «أبيدامنوم» ولا أعلم ما حدث لهما بعد ذلك، أما أنا فقد انتهى بي الأمر إلى هذه الحال التي تراني عليها الآن.

الدوق : إذن هذه هي البداية الصحيحة لما روي لي في الصباح. فهذان الاثنان كل منهما انتفولوس وكل منهما يشبه الآخر تماماً. وهذان أيضاً كل منهما دروميو، متشابهان كأنهما شخص واحد. وهناك، بعد هذا، ما أوضحته عن غرقها في البحر هذان هما والدا هذين الابنين اجتمعوا جميعاً بطريق الصدفة. ألم تحضر من كورنث للمرة الأولى يا انتفولوس.

انتفولوس السرقوسي : كلا يا سيدي، لست أنا، أنا قدمت من سرقوسة.

الدوق : قفا متباعدين، فما عدت، فما عدت أعرف كيف أميز بينكما.

انتفولوس الافسوسي : أنا، يا مولاي الكريم، هو الذي جاء من كورنث.

دروميو : وأنا معه.

الافسوسي

انتفولوس الافسوسي : وقد أحضرني إلى هذه المدينة، المحارب الاشهر، عمك دون «منافون»، الذي ملأت شهرته الأسماع جميعاً.

أدريانا : ومن الذي تناول طعام الغداء معي منكما، أنتما الاثنين.

انتفولوس السرقوسي : أنا يا سيدتي اللطيفة.

أدريانا : ألست أنت زوجي؟

انتفولوس الافسوسي : كلا، فأنا أأبى الإقرار بذلك.

انتفولوس السرقوسي : وأنا أيضاً وإن كانت دعتني كذلك، أما شقيقتها هذه النبيلة الجميلة. فلقد دعتني أخاها (إلى لوسيانا): لقد قلت لك حينذاك ما آمل أن يتسع لي الوقت فأثبت لك صدقه، إذا لم يكن ما أشاهده وما أسمعه حلماً من الأحلام.

انجلو : هذا هو، يا سيدي، العقد الذي أخذته مني.

انتفولوس السرقوسي : أظن أنه هو، فلم أنكره.

انتفولوس الافسوسي : وقبضت علي أنت من أجل هذا العقد.

أدريانا : وأنا قد أرسلت لك الكفالة مع دروميو ولكن أظنه لم يحضرها.

دروميو الافسوسي : كلا، لم ترسلي معي شيئاً.

انتفولوس السرقوسي : أنا من قد تسلمت منك هذا الكيس من الدوقيات، وقد أحضره إليَّ خادمي دروميو وأعتقد أننا ظللنا يقابل كل منا خادم الآخر فنجمت من هنا جميع هذه «الأخطاء».

انتفولوس الافسوسي : إني أدفع الدوقيات فدية لوالدي.

الدوق : لا، لن يحتاج الأمر لشيء من هذا، فلقد وهبنا والدك حياته.

الغانية. : سيدي، لا بد أن آخذ منك هذا الفص الماسي.

انتفولوس الافسوسي : هاك هو خذيه، وشكراً، شكراً جزيلاً على حفاوتك الطيبة بي.

مسؤولة الدير : أيها الدوق الممجَّد، هلاَّ تنازلت واحتملت مشقة الولوج معنا إلى هذا الدير، لكي تسمع، بالتفاصيل، حكاية ما قد حدث معنا جميعاً.

وأنتم يـا من اجتمعتم في هذا المكـان، ويا من
مستكم جميعاً، على السواء، أخطاء هذا اليـوم
الواحد كلهـا، واحتملتم الإساءة منهـا، تعالـوا
ادخلوا معنـا. وسنقدم لكم الجـزاء الوفـاق عما
كـابدتم. منـذ ثلاث وثـلاثين سنة عـانيت آلام
ولادتكمـا يا بنيَّ، وإلى أن حـانت هذه السـاعة
لم أكن قد وضعت عني حملي الثقيل بعد، هيا
أيها الدوق، ويا زوجي وأنتما يـا ولدي، وأنتمـا
يا من تؤرخان لمولدهما، هيا إلى حفل التعميد
لتسعدوا به جميعـاً معي، يا لـه من حفل، بعـد
كل هذا الحزن الطويل! .

الدوق : إني لأرحب من كـل فؤادي بأن أشـارك في هذا الحفل.

(يخرجون جميعاً إلا انتفولـوس السرقـوسي وانتفولـوس الافسوسي ودورميو السرقوسي ودروميو الافسوسي).

دروميو السرقوسي : سيـدي، أأذهب لأحضر متـاعـك من على متن السفينة؟

انتفولوس الافسوسي : أي متاع هذا الذي شحنته يا دروميو؟

دروميو السرقوسي : سلعـك يا سيـدي التي كـانت مـودعـة لـك في «السنتور».

انتفولوس السرقوسي : إنه يخاطبني. أنا هو سيدك يا دروميو. تعال، هيا معنا، ولندبر هذا فيما بعد. عانق أخاك وافرح به.

(يخرج انتفولوس السرقوسي وانتفولوس الافسوسي)

درومیو السرقوسي : هناك صديقة سمينة في منزل سيدك، قد احتفلت بي اليوم على الغداء وهي تظن أنني أنت، ولسوف تصبح من الآن أختي لا زوجتي يخيل إليّ أنك مرآتي ولست أخي، وإنني لأرى بفضلك أنني شاب جميل الطلعة اتفضل بالدخول لنرى احتفالهم بالتعميد؟.

درومیو السرقوسي : أنا أولاً؟ كلا يا سيدي، إنك أكبر مني.

درومیو الافسوسي : هذا مشكل؟ كيف نعالجه؟

درومیو السرقوسي : نضرب الرمل أو نستفتي العرافة لنعرف من الأكبر. ولكن إلى أن نفعل، تقدم أنت.

درومیو الافسوسي : كلا، هيا بنا يداً في يد. لقد أتينا إلى الدنيا أخاً وأخاه. فلنمض الآن، يدك في يدي، لا يسبق أحدنا الآخر.

(يخرجون)

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

روائع شكسبير

* مكبث
* الملك لير
* هملت
* عطيل
* كليوباترا
* العاصفة
* يوليوس قيصر
* تاجر البندقية
* ريتشارد الثالث
* روميو وجولييت
* سيدان من فيرونا
* حلم ليلة صيفية

* العين بالعين
* ملهاة الأخطاء
* مأساة كريولانس
* خاب سعي العشاق